

أهلاً وسهلاً



يشهد عالم التاريخ مؤخراً طفرة معرفية غير مسبوقة يعاد فيها كتابة التاريخ، اعتماداً على ما وجد من علوم واكتشافات لم تكن متاحة فيما مضى، كما يتسابق العالم في إيجاد وسائل جديدة لعرض هذه المعارف غير تلك الطرق التقليدية المتمثلة في طباعة الكتب والدراسات التي لا يطلع عليها سوى عدد محدود من المهتمين، ويقل هذا العدد في مجتمعات لا تملك ثقافة القراءة بالشكل والكم المطلوب، وهذا يرجع إلى أسباب كثيرة بعضها يتعلق بالقارئ نفسه وبعضها يتعلق بطريقة العرض وتواضع المعروض.

دراسة ومعرفة التاريخ بعيداً عن كونه علما قائماً، فهي العماد الأول للمحافظة على هوية الإنسان وخصوصيات أرضه وشعبه، وأكثر ما يجمع أمةٌ مَا هُو تاريخها المشترك والمتراكم عبر العصور المتعاقبة، وفيه من العبر والدروس الماضية ما يصلح حاضرها، ومن المتعة في معرفة أحوال قراها ومدنها وحواضرها، ومن الفائدة في الإستفادة من خيره وتجنب شرّه، والإعتبار بأمم وحضارات سادت ثم بادت، والإستفادة من أسباب قيامها وسقوطها.

رغم الكم المعرفي الكبير الذي قدموه لنا، فلا يدّعي المؤرخون الكبار فضلا عن غيرهم المعرفة الكاملة بأخبار من مضى، بل لا يزال الكثير من التاريخ عبارة عن ألغاز لم يتم فكها رغم كل المجهودات العظيمة التي قاموا بها للكشف عن كثير من خفاياها، وليبيا على وجه الخصوص تقف على إرث عظيم من تعاقُب الحضارات والتاريخ الطويل والحافل الذي لا يزال كثير منه في انتظار الدراسة والكشف من أهل الاختصاص، وما تم معرفته منه بقيَ أكثرهُ للأسف حكراً على المهتمين والدارسين، ويفتقد المتخصصون في ليبيا والهيئات الرسمية المعنية بالتاريخ والتراث والآثار إلى محاولات جادة لعرض التاريخ الليبي بصورة مبسطة للمتلقي، عدا مجهودات فردية تُذكر فتشكر ينحصر معظمها في النشر الإلكتروني.

هذه المجلة التي ستكون مطبوعة والكترونية هي محاولة متواضعة، يقوم عليها شباب مهتمون بهذا العلم، محاولين انجاز مجلة تاريخية ثقافية غير أكاديمية موجهة للقارئ العادي ولا تعنيها نشر البحوث المتخصصة والمفصلة، هدفها الرفع من الوعي بتاريخ وإرث هذا البلد العظيم، وتقديم القليل من المعرفة التي غيبت وأهملت لفترات طويلة، آملين أن نوفق في ذلك.

فريق العمل

History
Of Libya





فريق العمل

رئيس التحرير
عصام الجهاني

تحرير
خليفة علي البشباش

ترجمة
أنس محمد أبو ميس

إدارة الموقع الإلكتروني
أيمن بحيح

تصميم وإخراج
نسرين علي أبوخريص
مارن أبو دية
فاطمة الكاديكي

n.abokhris@gmail.com
maren.daya.ly@gmail.com
fatima.alkadiky@gmail.com

powered by:







www.HiSTORY.ly
info@history.ly
facebook.com/Libyanhistory
twitter.com/libyanhistory



شكر خاص لـ
د.محمد الشبلي

محتويات العدد



10 معلومات ينبغي معرفتها عن مدينة «قرزة»



حتى هذا اليوم لا تزال كثير مباني وحصون ومعابد وأضرحة قرزة صامدة في وجه عوامل المناخ والتخريب البشري، تخبرنا قصصا وتطرح أسئلة عن مدينة سكنها الليبيون بعيدا عن المدن الرئيسية الساحلية في الفترة الرومانية، ولم تلق آثار المدينة الاهتمام الذي يليق بها دراسة وحماية وكتابة رغم أهميتها وتفردها في نوعها ومضمونها واختلافها عن باقي المدن، وهذه مقالة مبسطة نقتبس فيها نصوصا من كلام علماء الآثار والباحثين تغطي عشر معلومات أساسية عن قرزة الواقعة قرب بني وليد اليوم.

1 - أرقام و معلومات عامة

إن تمركز ما يقرب من أربعين مبنى تتضمن ستة قصور شبيهة بالقلاع وعدد وفير من المنشآت الإضافية في قرزة يجعلها تشكل أكبر نواة لمستوطنة من القصور فيما قبل الصحراء، تنتشر المستوطنة عبر منطقة تبلغ أبعادها التقريبية 500 * 300 م، وتنشطر إلى شطرين بواسطة مجرى أحد روافد وادي قرزة، وقد جذبت إليها الأنظار منذ أعاد اكتشافها سميث في عشرينات القرن التاسع عشر «1820 30-»، وكانت بؤرة اهتمام الإيطاليين في ثلاثينات القرن العشرين وموضوع برنامج مسح وتنقيب من قبل بروقان و سميث في خمسينات القرن الماضي، إن الموقع واحد من أكثر المواقع استثنائية فيما قبل الصحراء الليبية، وهو أيضا من أكثرها اكتظاظا بأعمال التنقيب الأثري.

ديفيد ماتنغلي

2 -الطبيعة الليبية لسكان قرزة غير مشكوك فيها

اكتشفت في الموقع ستة نقوش باللاتينية، وثلاثة باللاتينو - بونيقية، وما لا يقل عن سبعة وعشرين نقشا غير متقن بالليبية، كان أحد عشر من النصوص الليبية منقوشا على أشياء تتصل بالعبادة أو على جدران معبد وثني هام، واثنا عشر على مباني أخرى في المستوطنة، وثلاثة على أضرحة رومانو - ليبية.

تكشف المصطلحات والأسماء الشخصية في النقوش اللاتينية واللاتينو - بونية أن النخبة من المقيمين كانوا ليبيين مع أنه كان للبعض منهم اسم روماني ثان من أسمائهم الثلاثة، إن الطبيعة الليبية غير المشكوك بها للسكان تؤيد بقوة التفسير القائل بأنها كانت مركزا عشائريا في أواخر الحقبة الرومانية.

ديفيد ماتنغلي

3 - تاريخ التأسيس وفترة الازدهار

لقد وجدت في الموقع بعض الشظايا من أواني فخارية من القرن الأول الميلادي , ولكن لم تحدد أية منشآت تعود إلى ذلك التاريخ ويبدو أن المستوطنة الواسعة التي يمكن رؤيتها هذه الأيام ذات تاريخ موحد هو أواخر العهد الروماني، وإن كان هناك استيطان مبكر فيبدو أنه لم يصل إلى مستوى كبير . ومع ذلك يظهر من الثراء البادي على الأضرحة ومن الحضارة المادية التي تحتويها بقايا الركام الضخم الناتج عن قرزة أنها كانت أكثر المستوطنات المنفردة فيما قبل الصحراء ازدهارا خلال المدة ما بين القرنين الرابع والسادس، وفترة الرخاء العظمى يظهر أنها كانت أوائل القرن الرابع عندما تم تشييد أروع الأضرحة، كما أن آخر الأضرحة قد يعود إلى أوائل القرن الخامس.

4 - الديانة القديمة لأهل قرزة وعلاقتها بالاسم الحالي

يقول فيليب كينريك في حديث عن اسم مدينة قرزة :

6كوريبوس Corippus من القرن السادس سجل ان بربر المدن الثلاث لطرابلس في زمنه كانوا يعبدون إلها اسمه غورزيل Gurzil، وفي القرن العاشر الميلادي كتب الجغرافي البكري عن صنم اسمه قرزة وموقعه في مكان ما في هذه المنطقة بعينها، والذي كان البربر يعبدونه حتى في زمنه، ولذلك فإن الاسم الحديث قد يكون أصله فعلا قديما»

وفي ذات السياق يتحدث ديفيد ماتنغلي ببعض التفصيل قائلا:

«كانت معظم المعابد الوثنية المتأخرة المعروفة مزارات أو أضرحة صغيرة يصعب في الواقع تفريقها أثريا عن الكنائس، وقد أفاد كثير من الأضرحة المتقنة الصنع كبؤر للمذهب الليبي المتوارث عن الآباء والأجداد، كان الإلهان المهمان في أواخر العصور القديمة آمون وواحد من ذريته له رأس ثور هو قوررزل.

وقد اقترحت أحيانا علاقة بين اسمي قوررزل وقرزة ليس أقلها بسبب ما كتبه البكري في القرن الحادي عشر عن موقع في الداخل يدعى قورزا حيث لا تزال تمارس فيه الوثنية، توجد الآن بعض الأدلة الإضافية التي توحي بأن هذه الصلة الأتيمولوجية (etymological) قد تكون صحيحة، يشير أحد النقوش الذي وجد على قبر قرزة الشمالي إلى تضحية بأكثر من 51 ثورا، كما تظهر لوحة منقوشة على قبر آخر ثورا تجري التضحية به، إضافة إلى ذلك فقد أثبت التنقيب الأثري أن أحد المباني الرئيسية في قرزة هو معبد كبير من الطراز السامي Semitic .

إذا كانت قرزة فعلا مركزا للطائفة أي لمذهب الإله قوررزل في أواخر العهد الروماني فإن ذلك يقدم مبررا إضافيا حول الكيفية التي أصبحت بها المستوطنة بهذا القدر من الاتساع والمحافظة على غناها نسبيا، وكمركز ديني وقبلي مع الإمكانيات والفعاليات التسويقية المرافقة فإن الموقع كان بدون شك واحدا من أكثر المواقع أهمية في كامل منطقة ما قبل الصحراء.

5 - اقتصاد زراعي ورعوي

قدمت [النقوش] شواهد عدة على الاقتصاد الزراعي ونوع الغذاء، ونتعلم من هذه الخصائص أنه بالإضافة الى مشاهد الحياة اليومية المصورة بحيوية على شواهد القبور وممارسة الحياة الرعوية، قام سكان قرزة بزرع القمح والشعير والزيتون والعنب والتين واللوز والتمور والحبوب ومن المحتمل أيضا البطيخ، وعثر على اعمدة معاصر زيتون .. وتتضح الزراعة المكثفة في قاع وادي قرزة.



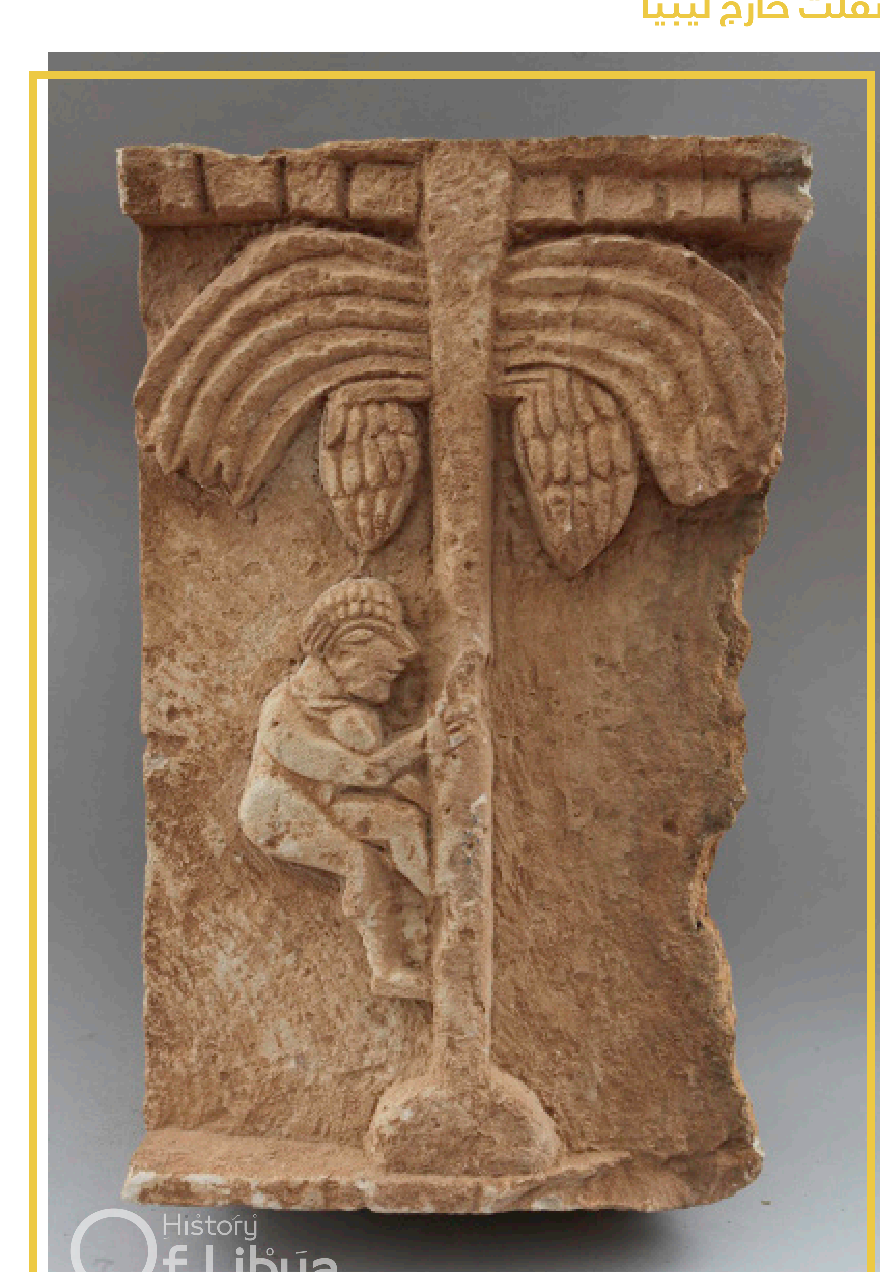
6 - التحكم بالمياه والزراعة

كانت مستوطنة قرزة تعتمد لبقائها على تنظيم الأمطار التي تهطل على المنطقة المحيطة، واظهرت الدراسات أن المناخ في الأزمنة الرومانية لم يكن مختلفا جدا في هذه المنطقة عما هو عليه الحال اليوم، ولذلك فان قدرة طبيعة المكان على اعالة مجتمع مستقر كبير تأثرت بمهارة السكان في مجالين:
أولهما سحب مياه الأمطار الى خزانات لتزويد الماشية والناس خلال الأشهر الجافة الطويلة، والثاني كان حجز مياه الأمطار المتدفقة من الهضبة الصخرية لكيلا تجرف السيول الطمي في قاع الوادي ولكن مع الإبقاء على كمية كافية لتمتصها التربة وبالتالي لتفيد المحاصيل الزراعية وغيرها من المحاصيل التي تنمو هناك، ويمكن مشاهدة تطبيقات هاتين التقنيتين في قرزة بوضوح.

د. فيليب كينريك

7 - منحوتات ونقوش من قرزة نقلت خارج ليبيا

«الاميرال البحري البريطاني وليام هنري سميث (W .H.Smyth) في عام 1817م عند اعتزامه زيارة مدينة قرزة الاثرية بعد ان سمع انها مليئة بالتماثيل واستطاع ان يجلب منها بعض المنحوتات البارزة منها لوح يحمل نحت بارز لفارس وميدالية نحاسية رومانية عليها صورة فاوستينا الكبرى اعطاها له احد الاهالي ، أي ان سميث يعد اول من نقل احدى منحوتات قرزة خارجها و اول منحوتة تصل الى اوروبا من قرزة حيث نقلها بواسطة الفرقاطة البريطانية التي تدعى وايماوث (H. M S . Weymouth) في شهر نوفمبر عام 1817 وذلك ضمن الآثار التي تحصل عليها سميث من لبدة و طرابلس والتي وضعت في عشرين صندوقا أرسلت الى بريطانيا»
«وقد تم الاستحواذ على عدد ثلاث عشرة لوحة حجرية من اضرحة قرزة ربما بواسطة موظفين اتراك ووفقا لأوامر كارابيلا افندي الذي ارسلها الى اسطنبول ... وماتزال منحوتات قرزة تعرض في المتحف الوطني للآثار بإسطنبول ، وبصورة عامة وصلت تلك المنحوتات الى اسطنبول قبل عام 1873 حيث تذكر بروجان ان نقشا من قرزة كان معروضا في ذلك المتحف قد نسخ من قبل شخص يدعى ديثييه (Dethier) قبل السنة المذكورة آنفا ونشره ضمن مجموعة النقوش اللاتينية (C IL) اضافة الى نقش لاتيني من قرزة ومن الضريح ب بالمقبرة الشمالية تحديدا قد وصل الى اسطنبول في عام 1868، ويبدو ان هذين النقشين قد وصلا الى اسطنبول برفقة منحوتات قرزة مع مجموعة كاربيلا افندي، والجدير بالذكر أنه عند وصول تلك المنحوتات الى اسطنبول لم تذكر عنها اية معلومات تتعلق بمصدرها ويرجع الفضل الى الاستاذ ميندل (G Mendel.) في نسبتها الى قرزة عند اعداده كتالوج منحوتات المتحف المذكور»



د خالد الهدار

8 – صناعات

في تحليل قام به باحثون من جامعة ليستر على عينات غير مدمرة من سبائك نحاسية وزجاج أخذت من مواقع ليبية وحللت باستخدام تقنية الأشعة السينية المتفلورة (semi-quantitative µXRF)، ضمن مشروع «عبر الصحراء» الذي موله مجلس البحث الأوروبي . وتعد هذه التحاليل من أوائل التحاليل الكيميائية التي أجريت على المعادن والزجاج في أي فترة في ليبيا. ومع أن النتائج أوليّة، إلا أنها تطرح تساؤلات مهمة لا سيما احتمال وجود مؤشرات على ممارسة عملية تدوير الزجاج التي تظهر بوضوح من خلال عدم تجانس حبيبات الزجاج واختلاطها بكميات متفاوتة من الرصاص . كما وُجدت مرآة زجاجية في منطقة قرزة ظهر في تركيبها كمية من الرصاص، وربما نتج ذلك عن تقنية خاصة لصناعة الزجاج لا زالت تستخدم حتى الآن في الهند.
لقد كشف تحليل المعادن عن أدلة تشير إلى ظهور تجارة النحاس شمال الصحراء قبل الإسلام، وهناك أدلة أخرى تظهر وجود مواد صُنعت من خليط من بقايا معادن مختلفة، ربما صُنعت في ورش الجرمنتيين، سكان ليبيا القدامى، في سانية جبريل وغيرها من المواقع . يؤكد البحث على أهمية إجراء المزيد من التحاليل على القطع الزجاجية والمعدنية المتوفرة في ليبيا وشمال إفريقيا لتطوير هذه النتائج ووضعها في سياقها المناسب .

Figure 2. Complete, slightly convex glass mirror (top and bottom left) and painted cedar wood mirror box (top right), both from Building 32 at Ghirza. The image on the bottom right was taken in the XRF chamber, and shows the locations of the six points analysed: three on the lead backing, and three on the rust-coloured accretion.

9 – مواقع قريبة

تحيط بمدينة قرزة الأثرية عدة مناطق وأودية شهيرة مثل وادي المردوم، وادي نفذ، وادي غرغار، وادي البنية وغيرها من أودية بني وليد التي تضم عددا كبيرا من المواقع الأثرية مثل الحصون والقصور والأضرحة والمسلاّت التي تعود أغلبها إلى فترة مقاربة لازدهار قرزة وتبين في مجموعها الأهمية التي اكتسبتها المنطقة في تلك الفترة من التاريخ.





10– قرزة والمتاحف الليبية

كما سبق توضيحه في الفقرات السابقة فإن الأضرحة والقصور في قرزة زينت بعدد كبير من المنحوتات والنقوش التي تصور مشاهد مختلفة من الحياة اليومية والطقوس الدينية وأعمال الزراعة والصيد وتجسد حيوانات وطيورا وشخصيات بشرية وزخارف نباتية وهندسية، اضافة إلى ما اكتشف بها من تماثيل وفخاريات ومقتنيات أخرى.

وقد نقل عدد كبير من هذه المنحوتات والمقتنيات إلى متاحف ليبية أهمها متحف بني وليد والذي يحوي نحو 12 قاعة عرض تضم معروضات أثرية هامة من مدينة قرزة، كذلك يعرض عدد من منحوتات قرزة في متحف السرايا بطرابلس، وقد تم نقل أحد الأضرحة أيضا إلى داخل المتحف.


مدينة قرزة
History Of Libya

الآثار الليبية.. في المتاحف الهولندية



لوحة لمدينة طرابلس سنة 1665م للرسام الهولندي "دي ياخر" محفوظة في متحف Huis Van Gijn بمدينة دوردريخت الهولندية

بحسب الدكتور ألكسندر دي خروت فإن بداية العلاقات بين هولندا وليبيا يعود لسنة 1626م عبر المبعوثين الخاصين والقناصل، وهذه العلاقة الدبلوماسية مرت بفترات اتفاق وتفاهم وفترات اختلاف وصل الى التهديد وجلب الأساطيل الحربية، وخاصة في فترة الدولة القرمانلية، افتتحت أول قنصلية هولندية في ليبيا سنة 1683م في مدينة طرابلس حيث مثلها أول سفير هولندي إلى ليبيا وهو زخارياس كوسارت، وفي سنة 1713م وقعت معاهدة سلام بين الطرفين أنهت فترة من التوترات، ثم تبعها في سنة 1735م قيام أحمد باشا القرمانلي مبعوثا خاصا به إلى لاهاي اسمه حسين محمد ثم تلاه مبعوثون آخرون، ولا يمكننا -لضيق المقام- سرد تاريخ بداية العلاقات بين البلدين بالتفصيل ولقد كتب كل من بيرك ودي خروت مقالات مفيدة في هذا الشأن يمكن الرجوع إليها لمن أراد مزيدا من المعلومات.

وقد كانت هذه العلاقات السياسية بطبيعة الحال ضرورية لحماية وتطوير المصالح التجارية بين الطرفين في البحر المتوسط وشمال افريقيا، ولكن الأمر لم يتوقف عند الاقتصاد والتجارة فقد جلبت هذه العلاقات بعدا ثقافيا وان كان ضعيفا مقارنة بغيرها من الدول الأوربية.

ألكسندرينا تينّيه .. الرحالة الهولندية المعروفة التي قامت برحلات استكشافية في ليبيا وقصة مقتلها الغامضة في صحراء فزان كانت علامة بارزة للجانب غير السياسي في العلاقة بين ليبيا وهولندا، اذ شكلت رحلاتها ومأساة مقتلها حدثا مهما لكنه سرعان ما تحول إلى مشكلة سياسية وقضائية تتعلق في البحث عن القاتل الحقيقي الذي لم يعرف أبدا، لكن ثمة الكثير غيرها ممن كانوا علامة بارزة في العلاقات بين البلدين.

القنصل الهولندي «كليفورد فان بروجل» الذي مثّل بلاده في قنصلية هولندا بطرابلس بين عامي 1827-1833م في عهد يوسف باشا القرمانلي، هو واحد من هؤلاء الذين أسهموا في هذا الجانب لسببين أولهما أن زوجته السيدة فان بروجل قد تركت خلفها مذكرات ثمينة أسهمت في انجاز كتاب قام بتحريره زوج ابنتها «آز بيرك» عن فترة بقائهم في طرابلس، وهي مذكرات تروي أحداثا جرت في أواخر العهد القرمانلي وبدايات العهد العثماني الثاني، والكتاب يحمل اسم «ست سنوات في طرابلس على الساحل المغاربي»، أما السبب الثاني فيرجع إلى أن هذا القنصل قام سرّا بعمل حفريات وتنقيب عن الآثار في مدن ليبية عدة مثل لبدة الكبرى وشحات وطلميثة ودرنة وغيرها من المناطق، وجمع مجموعة كبيرة من المقتنيات قام بتهريبها عبر السفن الهولندية التي كانت تتردد على ميناء طرابلس وإرسالها إلى بلاده حيث لازالت تعرض في أهم وأكبر متاحفها حتى يومنا هذا.

كتب «بيرك» في الكتاب الذي يحوي مذكرات زوجة فان بروجل «ست سنوات في طرابلس» قائلا :-

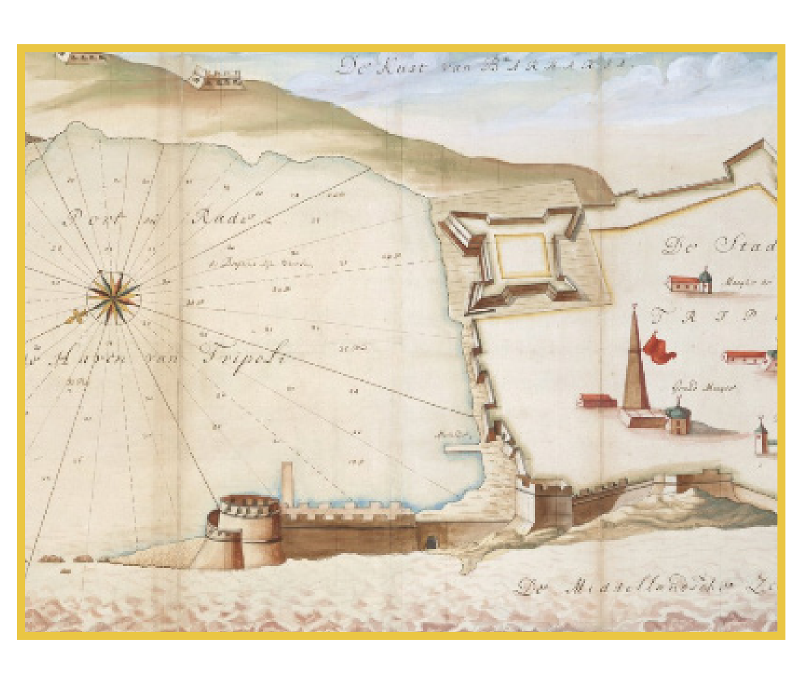
(وفي هذه الأثناء كان فان بروجيل قد أصبح ماهرا في جمع التحف والعملات والأحجار المنقوشة والحشرات والطيور، وقد كان يقوم بتحنيط الحشرات والطيور بحذق ومهارة كما كانت النباتات تجفف وتحفظ في معشبة، وكانت كل هذه الأشياء تكلف الكثير من الوقت والمجهود والمال، وكان فان بروجيل يستغل كل الفرص المتاحة وعلى الأخص عند وصول السفن الحربية إلى طرابلس, لإرسال صناديق مملوءة بالمقتنيات القيمة غير العادية إلى حكومته، التي قامت بدورها بعرضها في مكان لائق في متحف الدولة للآثار أو في متحف القطع النقدية والمداليات في مدينتي لاهاي ولايدين.

وكرس فان بروجيل جهوده في ذلك العام في التنقيب عن الآثار وفي إجراء أعمال الحفريات الأثرية، وقام بالتنقيب والبحث في لبدة الكبرى والتي تقع على بعد ثلاثة أيام سفر على ظهور الجمال [من طرابلس] وهناك قام بالتنقيب والحفر عشوائيا وعثر على بعض القطع الأثرية المتناثرة هنا وهناك كالمزهريات وبعض الأدوات الفخارية و الزجاجية والأحجار الأثرية المنقوشة والعملات الفضية والنحاسية والبرونزية.

كما عثر فان بروجيل على تحف أثرية قيمة في منطقة شحات والتي كانت مدينة بنغازي عاصمة لها، والتي أثبتت روعة النقوش المحفورة عليها صحة ما ذكره المؤرخون القدماء في مؤلفاتهم عن مهارة سكان هذه المناطق في النقش والحفر على مختلف الأحجار الكريمة.

كما زار فان بروجيل مدينة طلميثة القديمة، وكان قد تمكن من رؤية الأبراج مربعة الشكل للمدينة القابعة على الجبل من على بعد والتي امتد محيطها لأكثر من ثمانية أميال. ووجد فان بروجيل ضريحا عند الأبراج مما جعله يظن بأنها مقبرة أحد الحكام. ونقب فان بروجيل في الرمال في هذه المنطقة وفي مختلف الاتجاهات.

وعلى الرغم من الاستكشافات الأثرية لفان بروجيل كانت تواجهه العديد من الصعوبات بسبب طبيعة التربة والسكان والأوبئة المتفشية



في هـذه المناطـق بيـد أنـه تمكـن مـن جمـع مـا يقـرب مـن مائتـي قطعـة منهـما مائـة وخمسـون مزهريـة، وقـد قـدم فـان بروجيـل هـذه الآثـار إلى الملـك فيليـم الأول الـذي أهداهـا بـدوره إلى متحـف الدولـة للآثـار في لايديـن.)

هـذا بعـض مـما ذكـر في الكتـاب مـن تفاصيـل رحلاتـه الاستكشـافية واعـمال التنقيـب التـي قـام بهـا، وقـد كتـب فـان بروجيـل مذكـرات ورسـومات لبعـض الآثـار والنقـوش التـي زارهـا وسـجل ملاحظاتـه لكـن تلـك الأوراق قـد ضاعـت منـه، وتعتـبر المقتنيـات الأثريـة التـي جمعهـا فـان بروجيـل المجموعـة الأهـم مـن المقتنيـات الليبيـة في متاحـف هولنـدا وإن لم تكـن المجموعة الوحيـدة بطبيعـة الحـال.



تعـرض هـذه الآثـار كـما ورد في الاقتبـاس السـابق بمتحـف الدولـة أو المتحـف الوطنـي للآثـار في مدينـة لايديـن، بالهولنديـة (Rijksmuseum van Oudheden) ويعـد مـن أهـم المتاحـف وأكبرهـا في هولنـدا وهـو مختـص كـما هـو واضـح مـن اسـمه بالآثـار التي تعـود إلى الحضـارات القديمـة والعصور الكلاسـيكية، ويصـل مجمـوع مـا تحويـه صـالات عرضـه ومخازنـه حـوالي 180 ألـف قطعـة أثريـة.

والآثـار الليبيـة المحفوظـة والمعروضـة في هـذا المتحـف تتألـف في معظمهـا مـن مجموعـة كبـيرة المصابيـح الزيتيـة، والكـؤوس والأواني الفخاريـة بمختلـف أنواعهـا، بالإضافـة الى بعـض المقتنيـات الزجاجيـة ورؤوس تماثيـل وعمـلات وغـير ذلـك وفي الصـور نسـتعرض بعضـا منهـا.

المتحف الوطني للثقافات العالمية

كل من متحف المناطق الاسـتوائية بأمسـتردام (Tropenmuseum)، ومتحـف أفريقيـا في بـيرخ آن دال (Afrika Museum - Berg en Dal)، والمتحـف الإثنوغـرافي (الأعـراق البشريـة) في مدينـة لايدن (Museum Volkenkunde – Leiden) .. هـذه المتاحـف العريقـة الثـلاث في هولنـدا اندمجـت فيـما بينهـا تحـت مسـمى «المتحـف الوطنـي للثقافـات العالميـة» بالهولنديـة (Nationaal Museum van Wereldculturen) وأصبـح هـذا المسـمى الجديـد بعـد دمـج محتويـات هـذه المتاحـف الثـلاث يتيـح تبـادل معروضاتهـا بشـكل دائـم ومؤقـت مـن خـلال معـارض مسـتمرة تقـام في المواقـع الثـلاث، معـارض تجسـد قصـة البشريـة وتنوعهـا المثير وتعـرض آثـارا ومقتنيـات مـن مختلـف دول العـالم وثقافاتـه، وتـروي حكايـات عـن الأديـان والثقافـات والفولكلـور والصناعات والعـادات والصراعـات وكافـة المواضيـع المختلفـة عـن قصـة الحضـارة الإنسـانية، يبلـغ مجمـوع المقتنيـات التـي يملكهـا المتحـف الوطنـي للثقافـات العالميـة بهولنـدا مـا يزيـد عـن 370 ألـف قطعـة جلبـت مـن مختلـف أقطـار هـذا العـالم.

هـذا المتحـف اليـوم كميـة كبـيرة مـن المقتنيـات التقليديـة الليبيـة بمختلـف أنواعهـا، فمنهـا الملابـس كالجـرد والحـولي، والمجوهـرات والحـلي الـذي ترتديـه المـرأة الليبيـة، والآلات الموسـيقية بمختلـف أنواعهـا، ومجموعـة مـن الأواني وكذلـك الأدوات المنزليـة المصنوعـة مـن سـعف النخيـل، وبعض الأفرشـة وأدوات النسـيج، وسرج خيـول وأسـلحة وحقائـب وغـير ذلـك .. ولا يتسـع المقـام لحـصر وذكـر كل مـا احتوتـه مجموعـة المتحـف مـن تلـك المقتنيـات الليبيـة الجميلـة والمتنوعـة.



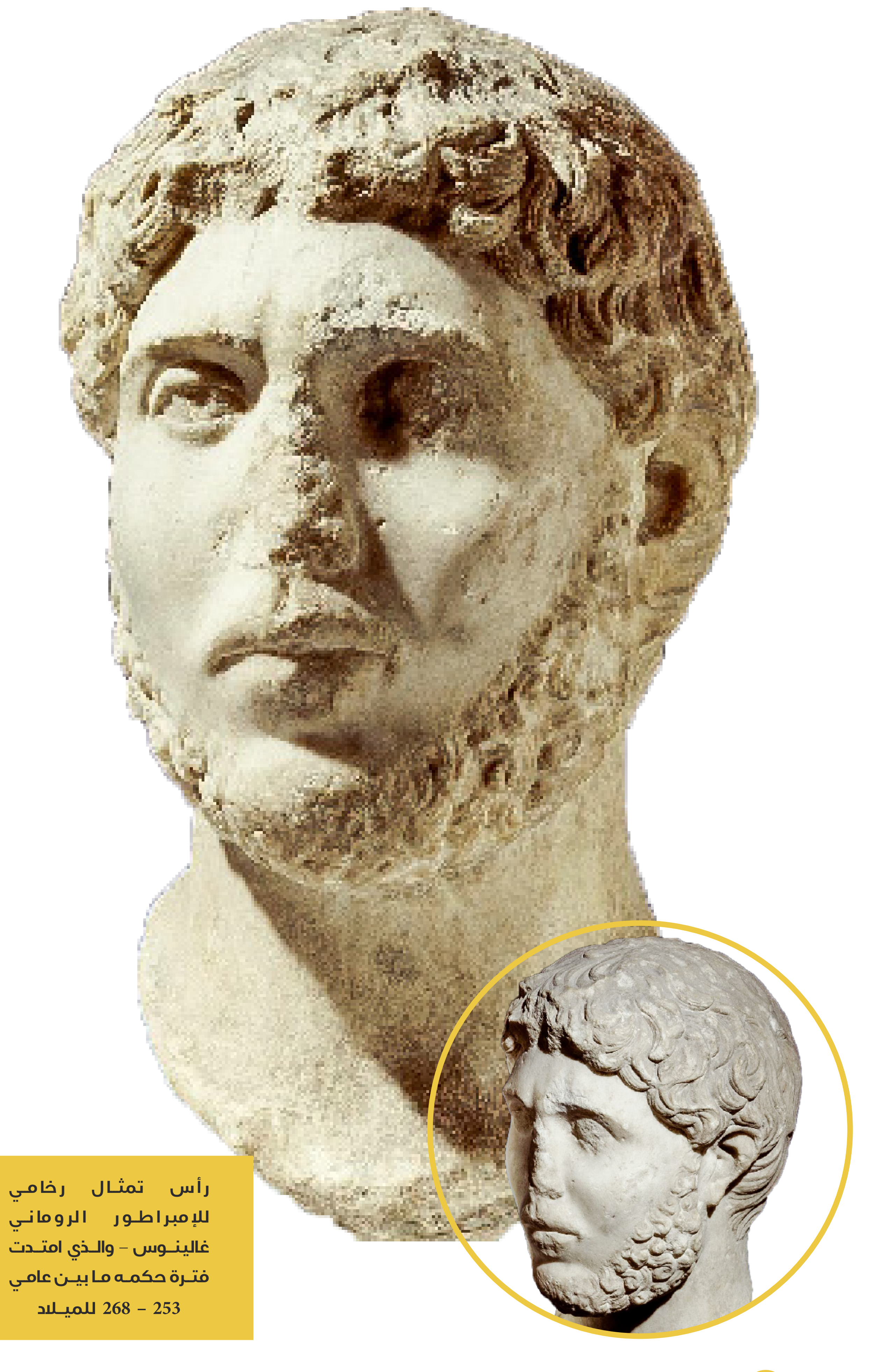
مصابيـح زيتيـة أحدهـا نقش عليـه أبولو Apollo إلـه الموسيـقى والشـمس في الميثولوجيا والأسـاطير الإغريقية ويعـود تاريخـه إلـى مـا بيـن القرنيـن الأول والثـاني للميـلاد.





عملة رومانية تحمل صورة الإمبراطور كارينوس **Carinus** والذي امتدت فترة حكمه بين سنتي 283 - 285 للميلاد، وقد جلبت من ليبيا.

ابريق فخاري من النوع المعروف بالليكثوس **Lekythos** وعادة ما يكون له مقبض يد واحد وعنق ضيق في أعلاه، يستخدم لحفظ الزيت ويرتبط بكثير من الطقوس الجنائزية، ويظهر هنا عدة نقوش تمثل بعض الآلهة في الميثولوجيا الاغريقية مثل ديونيسوس وأبوللو، ويعود تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد



رأس تمثال رخامي للإمبراطور الروماني غالينوس - والذي امتدت فترة حكمه ما بين عامي 253 - 268 للميلاد

إناء فخاري من النوع Aryballos وهو دائري الشكل بمقبض يد واحد في الغالب ويستخدم لحفظ العطور والزيوت، يظهر في الصورة وقد رسم عليه رأس أثينا ويعود تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد

History Of Libya

History Of Libya


History
Of Libya











قلعة أغرام نظاريف .. كيف سيطر الجرمنتيون على المسارات والحدود في الصحراء؟



المؤرخ وعالم الآثار الإيطالي ماريو ليفراني هو أستاذ التاريخ القديم في جامعة روما وعمل في البعثة الأثرية الإيطالية في الصحراء الليبية ونشر عدة بحوث ومقالات بالخصوص، هذه المقالة له من ترجمة د. أسامة عبد الرحمن النور، وهي في الأصل أطول مما أوردناه وقد اقتصرنا منها على ما يتعلق بموضوع قلعة أغرام نظاريف.

يُعلم نهوض الدولة الجرمنتية، من بدايتها في القرن السادس قبل الميلاد حتى قمة ازدهارها في القرن الميلادي الثالث، رقياً هائلاً في التنظيم السياسي والاجتماعي- الاقتصادي لـ فزان. حقيقة فإن العديد من النقاط لازالت غامضة، بأمل أن يتم توضيحها مع تقدم عمليات البحث الآثاري الجارية في المنطقة. لكن يبدو من الواضح الآن كيف كانت الدولة الجرمنتية مختلفة ومبدعة إذا ما قورنت بالأشكال السابقة للتكتل الاجتماعي في المنطقة نفسها. إذا أشرنا إلى المظاهر الأساسية، فإن الصحراء الوسطى قدمت للمرة الأولى بينة دالة على التمدن، وعلى تمركز السلطة السياسية، وعلى كنوز ثروات لافتة للانتباه (في المقابر الملكية)، وعلى استغلال زراعي مكثف للواحات، وعلى التجارة بعيدة المدى، وعلى صناعة المعدن (الحديد)، وعلى استخدام الكتابة. عندما يتم وضع تلك الإنجازات في منظور متكامل صحيح فإنه سوف تتضح الحاجة لإعادة تقييم لتاريخ المنطقة قائم على بذل المزيد من الجهد البحثي الميداني وعلى تجميع المعطيات ووضعها في محتواها التاريخي المناسب.

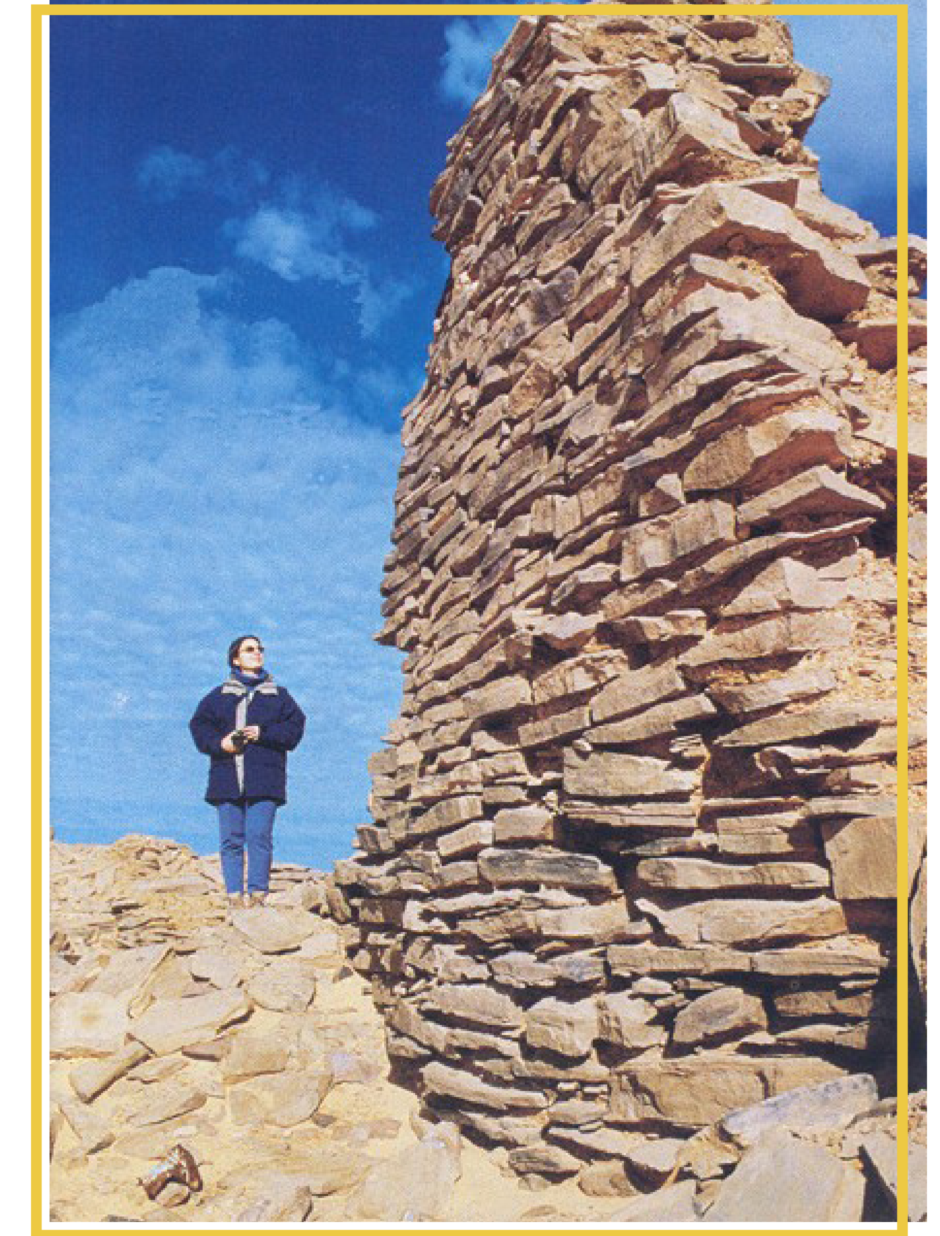
لحسن الحظ فإن البعثتين الآثاريتين العاملتين في المنطقة، تحديداً البعثة البريطانية العاملة في جرمة ووادي الآجال، والبعثة الإيطالية-الليبية المشتركة العاملة في وادي تنزوفت وفي جبال الأكاكوس ومساك، تبديان اهتماما تكاملياً (أكثر منه متوازياً) والذي يمكن أن يسهم في إعادة تركيب شاملة للدولة الجرمية وثقافتها في جوانب مختلفة. ففي حين تعمل البعثة البريطانية في مركز المملكة، فإن البعثة الإيطالية-الليبية المشتركة تعمل في حدود المملكة الجنوبية؛ وفي حين يمكن للبعثة الأولى أن تكشف عن نظام الزراعة والري، فإن الثانية يمكنها أن تكشف بصورة أفضل عن منظومة شبكة التجارة. كما هو معروف جيداً، فإن لـ جرمة تاريخ طويل من أعمال البحث للبقايا الجرمية، في حين أن أبحاث البعثة الإيطالية-الليبية المشتركة عن أطوار الإقامة الإنسانية في وادي تنزوفت وفي واحة غات/بركت بدأت في العام 1997 حيث كانت أبحاثها في السابق محصورة في مجال ما قبل التاريخ فقط. بالتالي فإن تقديمي للمعطيات المناسبة والخطوط العامة للإشكاليات التاريخية ذات الصلة سوف تحتاج إلى تعديلات عندما تتم دراسة المادة الآثارية وتصنيفها بصورة أكثر تفصيلاً وعندما تكتمل التحاليل المختلفة والتواريخ.

يتوجب تذكر أن عملنا قسم إلى ثلاث مناطق اهتمام، كلفت فرق مختلفة بإنجاز كل قسم. الفريق الذي ترأسه البروفسور ماورو كريماشي تمكن، عن طريق المسح المنظم الشامل في وادي تنزوفت والمناطق المحيطة، من إماطة اللثام عن معطيات مهمة خاصة بالفترة الجرمية، كما وتمكن من إعادة تركيب الخطوط العامة الأساسية للتغير البيئي الذي نتجت عنه واحات الأزمان التاريخية. وركز الفريق الذي ترأسه سافينو دي ليرنيا مجهوداته على القوائم التفصيلية وعلى أعمال تنقيب مختارة في المدافن التلية في المنطقة نفسها، وذلك بغرض فهم أفضل للانتقال من مرحلة الرعاوة المتأخرة إلى الأفق الجرمي من حيث الجوانب الاجتماعية (الزعامة، والتراتب، والاثنية وما إلى ذلك). اتضح بصورة خاصة أن المدفن التلي غير العادي (والمعروف مسبقاً) في أغلاشم هو مدفن زعيم يعود تاريخه للفترة الجرمية. أما بالنسبة للفريق الثالث، فقد ركزت جهدي على التنقيب في حصن أغرام نظاريف، الواقع على حافة واحة البركت. في محتوى مؤتمر «الأراضي الجافة» هذا، فرض عليَّ الوقت المتاح التركيز، من مجمل أعمال مشروعنا، فقط على نتائج التنقيب في أغرام نظاريف: لكنه من العدل أن نلفت انتباه القراء إلى أن العمل الذي قام به فريقا كريماشي ودي ليرنيا هو واعد بالقدر نفسه، وأن العلاقة المتداخلة بين الفرق الثلاث والاستخدام المترابط للنتائج يمثل النقطة الأقوى لمشروعنا.

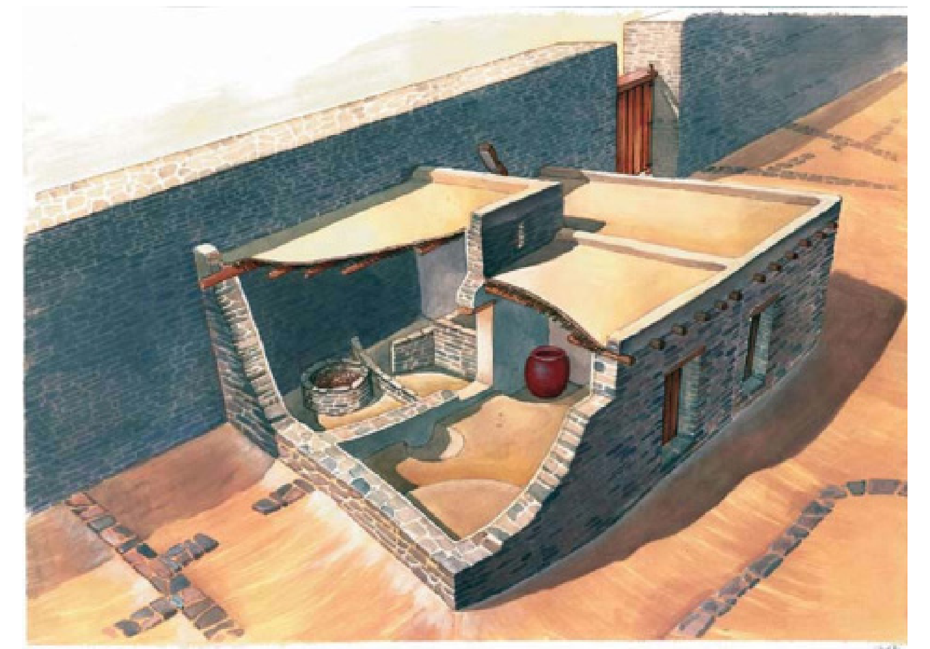
يقع حصن أغرام نظاريف في موقع إستراتيجي مرتفع من خلفه واحة البركت، ويواجه وادي تنزوفت، الممر الإجباري بين سلسلتي التاسيلي والأكاكوس المتوازيتين – ممر يقود من فزان جنوباً بالاتجاه العام إلى حوض التشاد. مزيد من الطرق تلتقي أيضاً في المنطقة نفسها: طريق تقود جنوب-غرب (عبر التاسيلي) بالاتجاه العام إلى منحنى النيجر، وأخرى تقود شرقاً (عبر الأكاكوس) باتجاه منطقة مرزق. خلال ألفيات طويلة من التجارة الصحراوية، ظلت واحة غات، في قلب وادي تنزوفت، واحدة من أهم النقاط المفتاحية في مجمل شبكة طرق القوافل. دللت أعمال التنقيب التي قمنا بتنفيذها بأن دوراً كهذا أنجز في الأزمان الجرمية.

أغرام نظاريف عبارة عن قلعة مسورة يبلغ حجمها 140 * 50 متر، تسيطر على الوادي من على ارتفاع وراء بطن الوادي، لا يمكن لأي فرد المرور عبر سرير الوادي دون أن تتم ملاحظته من القلعة، يبلغ عرض سور القلعة المترين، واحتفظت بعض أبراجه بارتفاع يقارب الأربعة أمتار فوق الأطلال المتبقية في الجانب الشرقي، في مواجهة مجرى الوادي يوجد مدخل مركزي ضخم مع منحدرين صمما للجمال أو لحيوانات حمل أخرى، ومع بوابة مزوية مصحوبة هي الأخرى بمنحدر بعد الحافة





الشمالية. في المنطقة التي تم التنقيب فيها، بالقرب من أحد الأبراج، تم التعرف أيضاً على ممر صغير يصلح لمرور المشاة فقط. في الجانب الغربي، في مواجهة واحة البركت، حالة الحفظ بالنسبة لسور المدينة أسوأ كما وأن تراكم الرمال بحجم أكبر، مع ذلك فإن التعرف على مدخل في ذلك الجانب محتمل إلى حد بعيد. توجد داخل أسوار المدينة العشرات والعشرات من الوحدات السكنية الصغيرة، النموذج الأساسي لها مؤلف من منازل بحجرتين. المنازل المختلفة إما أنها ملاصقة لسور المدينة، أو موزعة عشوائياً في الفناء الداخلي، وتفصل بينها أزقة صغيرة.





تم هجران القلعة خلال القرن الرابع، وانهارت الأسوار الحجرية وغطت الرمال المتحركة الموقع إلى قمة الجدران الباقية. في طور ما بعد الإقامة، خلال ما يزيد عن الألفية ونصف الألفية، تمت زيارة الموقع، واستخدم من قبل الرعاة والعابرين كمأوى ليلي. في بعض الغرف أو أجزاء منها وفي الأزقة بقيت الترسبات السفلية في حالة حفظ لا بأس بها وغير ممسوسة تحت ركام الأسوار المنهارة.

نقبنا بالتالي حوالي 20 غرفة ووحدات أخرى. لا يسمح لي الوقت هنا بوصف كل عملية منفردة، بالتالي قمت باختيار عمليتنا الأولى نموذج الغرفتين كان حجمه 5*6 متر، وهو ملاصق لسور المدينة ومحمي به بحيث أن جداره الخلفي محتفظ بارتفاع يبلغ 2.5 متر. وقد قطعت الأرض الصخرية وسويت لاحتواء الجدران والأرضية. غطيت الجدران الحجرية بجص سميك وخشن؛

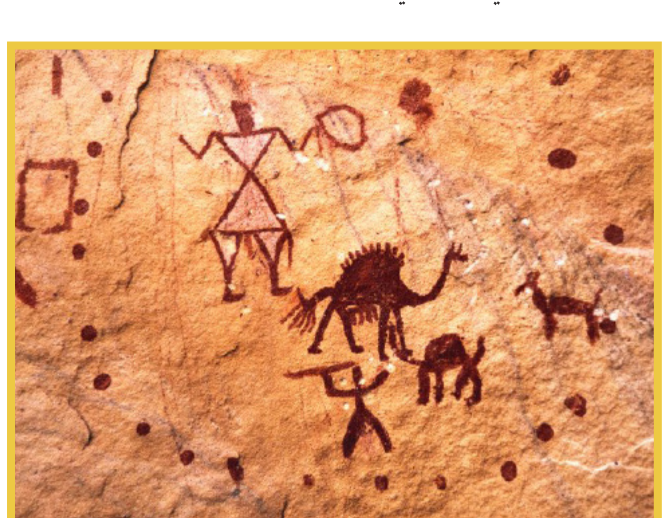
وكُسيت الأرضيات بطبقة من الطين القوي، لكن السطح البيني بين أرضية «المعيشة» والرمل المتراكم كان بعيداً عن أن يكون نظيفاً. تم حفر العديد من الحفر في الصخر منذ التأسيس الأصلي للمبنى، بعض تلك الحفر غير منتظم لكن واحدة منها، في حالة حفظ جيدة، احتوت على حصى تمر ملتصقة بالجص. تشهد بعض حفر أعمدة غير على استخدام فواصل خشبية، بنيت

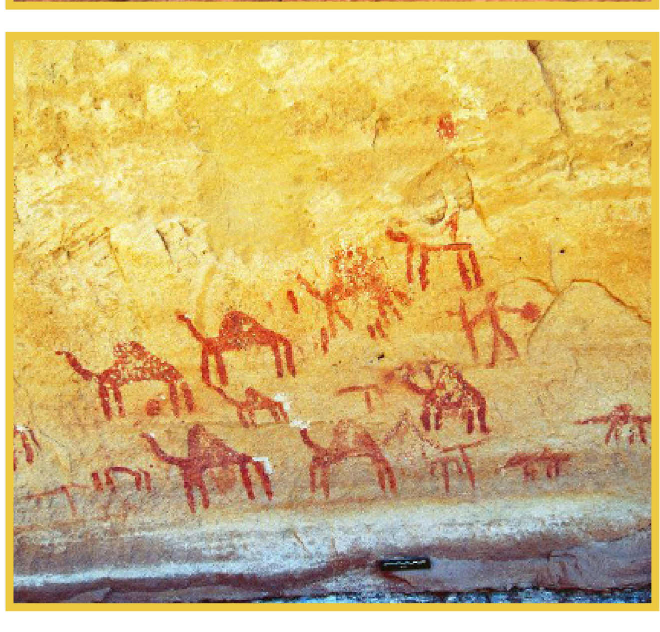
الفواصل الداخلية من الحجارة والطوب غير المحروق. رغم انه في حالة معظم الوحدات لا يوجد ما يشير إلى نموذج آخر غير المسكن الشخصي لأسرة نووية، فإنه في حالة غرفة أخرى قد يشير التراكم الكبير لشظايا أمفورات للزيت وغياب مكان لموقد إلى تفسير المبنى بوصفه مخزناً. كما توجد في بعضها بينة لتعديلات أدخلت بعض وضع المخطط النهائي للمبنى، ويحتمل أيضاً من حيث الوظيفة : يوجد بعض بقايا أحواض صغيرة محفورة في الصخر ومبنية جزئياً بطوب غير محروق يمكن أن تكون مكرسة لنشاط محدد لست قادراً على التعرف عليه.

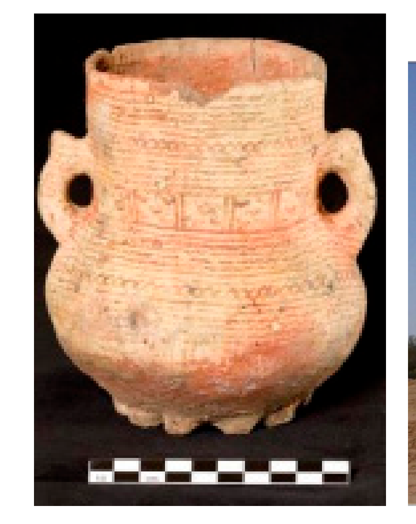
الطابع المتقطع للتواجد المتأخر تشهد عليه حقيقة عدم العثور على شقوف فخار قروسطي في الموقع، في حين ينتمي كل الفخار الذي عثر عليه في الأرضيات إلى أفق متجانس واحد. خلال الموسم الأول تمكنا (لحسن الحظ) من اقتناء تواريخ مشتقة بتقنية الكربون المشع ومن فخار مستورد متطابقة للموقع. التواريخ الراديوكاربونية تعود إلى 1880±75 و 1760±70 سنة مضت. يتمثل الفخار المستورد في شظايا أمفورا رومانية من ساحل الأبيض المتوسط، تنتمي للأشكال المعروفة بمصطلح تريبوليتانا 1 (القرن الأول الميلادي) و تريبوليتانا 3 (القرنين الثالث-الرابع). في المواسم اللاحقة تم العثور على المزيد من شظايا الامفورا الرومانية، وتم أخذ القليل من التواريخ الراديوكاربونية، التي إما أكدت على التواريخ المتحصل عليها سابقاً، أو تنتمي لاستخدامات مرحلية لاحقة للأطلال.

يمكن بثقة تأريخ موقع أغرام نظاريف بفترة مبكرة من القرن الميلادي الرابع، ومرحلته الكلاسيكية، تقريبياً معاصرة لأوج ازدهار المملكة، ومع البقايا الصروحية في المدينة العاصمة جرمة ومع الجبانات الملكية في منطقة جرمة. بالنسبة للفخار، ففي حين عرفت الامفورا الرومانية، فمن المحتمل أن بعض شظايا فخار ملون، غير محلي، أشبه بذلك المسمى فخار عصر الحديد الأوسط لحوض التشاد، وهو نوع من الفخار كان قد تم تطويره منذ القرن الميلادي الثالث. الأمر كذلك فإن كلا النهايتين لطرق القوافل العابرة للصحراء تجدان تمثيلاً في موقعنا. من بين المكتشفات الصغيرة علينا أن نذكر الأعداد الهائلة من حجارة الطحن (العديد منها أعيد استخدامه في الجدران). مثيرة للدهشة سلسلة من الهاون الصغيرة المصنوعة من حجر بركاني أملس، واحدة منها تحمل آثار لون أحمر، وتحتوي أخرى آثار حريق ويمكن أن تكون استخدمت مصباحاً،

أخيراً فإن بعض خبث الحديد يثير إشكالية انتشار صناعة الحديد على امتداد الساحل والصحراء في القرون الميلادية الأولى. لاستكمال صورة الموقع علينا أن نذكر أنه عبر الوادي قبالة أغرام نظاريف وإلى الجنوب على امتداد ميلين، توجد جبانة ضخمة مؤلفة من مدافن تلية دائرية حجرية ترجع بدورها للأفق الجرمي، كل المدافن تعرضت للنهب أو نقبت بطريقة رديئة في الماضي.







الطريق التي تعبر تاسيلي باتجاه جانيت مباشرة، والتي تقود في النهاية إلى منحنى النيجر، عُلمت بمبان حجرية كبيرة أسفل قرية الفويت الحالية. حفرية تجريبية بدأت في 2001، وأجري تنقيب كامل في موسم 2002، يمكن تأريخ الموقع بثقة بالقرن الأول قبل الميلاد، بالتالي فإنه أقدم من أغرام نظاريف، لكنه هو الآخر يرجع للفترة الجرمية الكلاسيكية. لا يشكل مثل هذا التاريخ مصدراً للدهشة : معروف جيداً أن الطريق من غات إلى جانيت عُلمت بتمركز كثيف للنقوش الصخرية مع تصوير للخيول والمركبات الجرمية. مع ذلك فإن قرية الفويت كانت ذات خصائص إقامة زراعية أكثر منها محطة تجارية.

أما بالنسبة للطرق عبر الأكاكوس، فإن تلك من الممكن التعرف عليها آثارياً في الممرات الجبلية. واحد من تلك الممرات، ممر ارلارلارن، عُلم في الواقع بنقش طويل باللغة الليبية القديمة وهو نقش أهم من مجرد النقوش القصيرة من نوع «أنا» بزيادة الاسم الشخصي. الممر كان لازال مستخدماً في الأزمان الحديثة من قبل قوافل الجمال المخترقة للأكاكوس بهدف توفير يوم كامل في الرحلة من غات إلى مرزق. وعُلمت طريق النهاية السفلى لممر آخر، ممر أغلاشم، بمدفن تلي ملكي (أو لزعيم) نقب فيه فريق دي ليرنيا وأثبت أن تاريخه جرمي. تجدر الإشارة إلى أن مدفن أغلاشم هو الوحيد في مجمل المنطقة ومنعزل ولا يرتبط بأي موقع إقامة، مؤشر إضافي، كما يلمح إلى ذلك دي ليرنيا، لوظيفته معلماً حدودياً، غالباً من قبل أسرة زعماء سيطروا بشكل ما على معابر الجبال.

فيما وراء الأكاكوس، باتجاه مرزق، تم التحكم في طرق القوافل عن طريق قلاع احتلت مواقع إستراتيجية. واحدة من تلك القلاع (غير بعيدة عن معسكر عويس) التاريخ المبدئي لها (على أساس تيبولوجية البناء والفخار السطحي) ينتمي إلى أفق أغرام نظاريف نفسه (القرن الميلادي الثالث)؛ تاريخ أكثر دقة يمكن طرحه بعد أعمال التنقيب المزمعة. ثمة قلعة أخرى تم أيضاً التعرف عليها.

بالطبع نحتاج لتجميع أدلة أشد «قوة»، لكن يبدو واضحاً أن الحد الجنوبي لمملكة جرمة قد تم تنظيمه وفق إجراءات تحكم إقليمي صارمة: حصون، وقلاع، وممرات جبلية وفرت كلها إدارة منتظمة للتجارة بعيدة المدى، من أجل التحكم والضرائب، وأيضاً من أجل توفير الدعم اللوجستي اللازم والإمدادات للقوافل. ما نكتشفه هو نوع من «اللايم الجرمي»، غير المختلف كثيراً عن «اللايم الروماني» المؤسس أيضاً على نظام قلاع تقام في مواقع استراتيجية وتتحكم في تجارة القوافل. النظامان كانا قيد الاستخدام في القرنين الميلاديين الثالث والرابع، عندما بلغت كل من الإمبراطورية الرومانية ومملكة جرمة قمة قوتهما وامتداداتهما الإقليمية. قد يكون ممكناً الافتراض بأن اللايم الجرمي أنشئ على قاعدة النموذج الذي وفره الرومان؛ ومع ذلك فإن التاريخ النسبي الدقيق للنظامين يحتاج للمزيد من الدراسة، وذلك لاختبار الفرضية المعاكسة، تحديداً بأن اللايم الروماني قد تأثر بنموذج القلاع ونقاط التفتيش الصحراوية المتطورة حينها في المنطقة الجرمية، التشابه بين حصننا في أغرام نظاريف و«القرى التلية» غير المنقب فيها في منطقة اللايم الروماني فيما قبل الصحراء لافت للانتباه.

لدى دراستي لطريق القوافل التي وصفها هيرودوت، شددت على أن السمات الأساسية للتجارة عبر الصحراء، كما هي معروفة من المصادر القروسطية، وجدت منذ القرن السادس قبل الميلاد : مراحل يومية تبلغ حوالي 50 كيلو متر، وسلسلة 10 مراحل من واحة إلى التي تليها. إذا كان مثل هذا الترتيب موجوداً في القرن السادس قبل الميلاد، فإنه وبلا شك وجد في فترة القرون من الأول إلى الرابع الميلادي. كانت المملكة الجرمية الواقعة في قلب شبكة الطرق الصحراوية، في موضع يسمح لها بالقيام بوظيفة الوكيل المركزي لمجمل المنظومة، أو على الأقل، لجزء كبير منها. وقد أدت مملكة جرمة ذلك الدور، ليس بطريقة مفككة، كمركب «قبلي» لرعاة وقطاع طرق، كما اعتقد ولازال الكثيرون من دارسي تاريخ العالم القديم، ولكن عبر خطوط ثابتة لدولة مركزية مستقرة. الثروات المكنوزة في الجبانات الملكية في جرمة هي النتاج الختامي لتجارة منظمة نقلت الملح من الصحراء إلى الحزام السوداني، وجلبت الذهب والرقيق من الحزام السوداني إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، وأخيراً زيت الزيتون والسلع الترفية من المصنوعات الحرفية المتقدمة من البحر الأبيض المتوسط إلى قلب الصحراء.

من بين الإشكاليات التاريخية العديدة التي يتوجب علينا حلها (أو على الأقل تحديدها) في هذا المحتوى، سأفرز إشكاليتين منها: إشكالية التقنية المتوفرة لمثل هذا النهوض الهائل لدولة معقدة في قلب الصحراء؛ وإشكالية الأسباب التي أدت إلى زوالها المفاجئ. حالياً نمتلك فقط بينة استنتاجية بين يدينا، لكنه لا يجوز القول بأن الوقت لازال مبكراً لإثارة النقاش، جزئياً بغرض توجيه مجال النشاطات إلى أهداف أكثر تحديداً. بالنسبة للإشكالية الأولى، تحديداً التطبيق التقني، فإن السمات الأساسية هي الفجارات والإبل. يبدو واضحاً - على الأقل بالنسبة ليّ - أن الزيادة المفاجئة في أعداد السكان وكثافتهم في وادي الآجال (حول جرمة) وفي وادي تنزوفت (حول غات) لا يمكن لها أن تكون قد حدثت بدون إدخال البستنة القائمة على قاعدة أشجار النخيل والري (تحديداً نظام الفجارة).

لدى إعادة تركيب التغيرات التقنية والديموغرافية كبيرة الحجم، علينا أن نتبنى منظوراً أكثر اتساعاً. حالياً، فإن التفاوت بين الاستغلال الرعوي والجرمي للمنطقة مدهش للغاية، رغم أن الانتقال كان تدريجياً وتحتوى أنماط الإقامة الرعوية المتأخرة على سمات سوف تسود لدى الجرميين.

خلال الفترة الطويلة (حوالي 10.000 إلى 3000 سنة مضت)، عندما نتج عن الظروف الايكولوجية في فزان نوع من السافانا كافية لإعالة كم كبير من الأبقار والأغنام، جرى استغلال المنطقة عن طريق مجموعات صغيرة تتحرك بين الجبال والسهول، على ضفاف البحيرات والبرك، مع معسكرات فصلية. أثر الاقتصاد الرعوي على مجمل المنطقة (من وديان الجبال إلى السهول المنفتحة) بطريقة متجانسة. خلال المرحلة الرعوية المتأخرة، عندما أخذ المناخ في التدهور (أساساً بين 5000 و 3000 سنة مضت)، بدأت مواقع الإقامة الرعوية تتمركز حول قاع الأودية (مع الواحات الممتزجة بها) وفي الجبال، وهجرت العروق. عندما اكتملت عملية التصحر، أصبحت الإقامة الإنسانية متمركزة في الواحات النواة، وتم تحول كامل في النظام السابق : إقامة متمركزة بدلاً عن منتشرة؛ البستنة زائد التجارة بدلاً عن الرعاوة، لا يمكننا أن نتصور أن هذا النظام الجديد برز إلى الوجود بدون أو قبل إدخال تقنيات زراعية وتجارية جديدة.

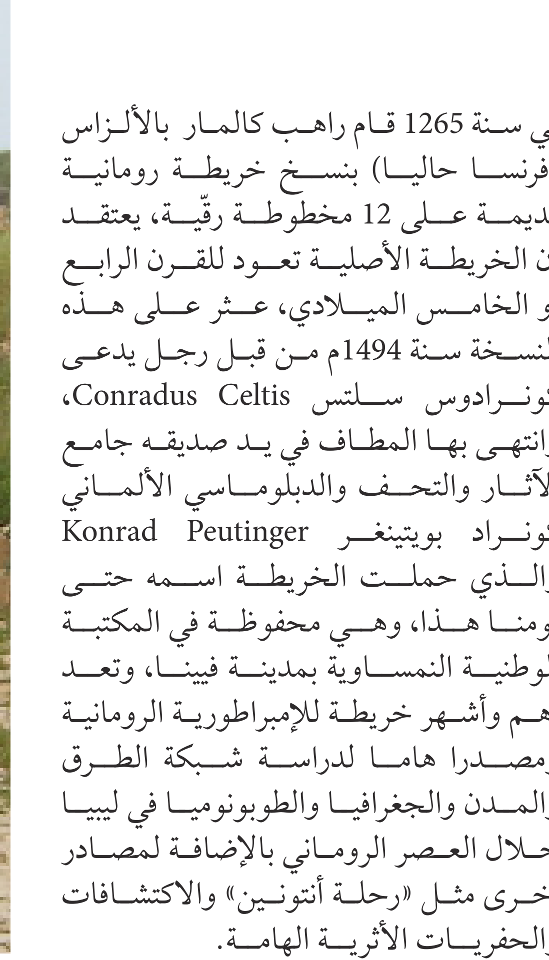
هنا، فإن معرفتنا لا يمكن وصفها بأكثر من كونها متنافرة. أشجار النخيل ترجع بموثوقية إلى وقت مبكر من الألفية الأولى؛ إدخال نظام الفوجارة في حوالي القرن السادس ق.م. يظل أمراً قابلاً للنقاش؛ وإدخال الإبل يفترض أنه أعقب ذلك التاريخ (السنوات الختامية للألفية الأولى قبل الميلاد). على كل، خلال فترات أوج ازدهارهم (القرون الأول-الثالث الميلاديةّ) امتلك الجرميون كل الأدوات اللازمة لفرض سيطرتهم على الصحراء. لكنني أعتقد بأن وفرة الأدوات هذه لا بدَّ وأنها وجدت خلال المراحل المبكرة لتطور الدولة الجرمية في القرن السادس ق.م.





اللوحة البويتينغرية .. طرق ومسارات

في سنة 1265 قام راهب كالمار بالألزاس (فرنسا حاليا) بنسخ خريطة رومانية قديمة على 12 مخطوطة رقّية، يعتقد أن الخريطة الأصلية تعود للقرن الرابع أو الخامس الميلادي، عثر على هذه النسخة سنة 1494م من قبل رجل يدعى كونرادوس سلتس Conradus Celtis، وانتهى بها المطاف في يد صديقه جامع الآثار والتحف والدبلوماسي الألماني كونراد بويتينغر Konrad Peutinger والذي حملت الخريطة اسمه حتى يومنا هذا، وهي محفوظة في المكتبة الوطنية النمساوية بمدينة فيينا، وتعد أهم وأشهر خريطة للإمبراطورية الرومانية ومصدرا هاما لدراسة شبكة الطرق والمدن والجغرافيا والطوبونوميا في ليبيا خلال العصر الروماني بالإضافة لمصادر أخرى مثل «رحلة أنتونين» والاكتشافات والحفريات الأثرية الهامة.



توضح الخريطة البويتينغرية طرقا وجسورا وأبراج او نقاط مراقبة ونزلا وعددا كبيرا من أسماء مدن مختلفة في ثلاث قارات هي أوربا وآسيا وافريقيا بما في ذلك ليبيا ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض المدن الليبية المذكورة في الخريطة:

لبدة Leptis magna، بنغازي Berenice، طلميثة Ptolemais، العقيلة Anabucis، خليج سرت Syrtes Minores، سرت Macomadase، مصراتة Tubactis، طرابلس Oea، توكرة Taucheira، البيضاء Balagrae، بلاد الجرمنت «فزان» Garamantes .. إلى غير ذلك من المدن والقرى والمناطق الليبية التي ذكرت في الخريطة وهي كثيرة جدا.

في أوج قوتها حكمت الإمبراطورية الرومانية خمس سكان العالم، شيدت طرقا معبدة بمجموع طول بلغ 80 ألف كيلومتر أي ضعف محيط الكرة الأرضية، وأضعاف ذلك من الطرق غير المعبدة، كانت هذه الطرق عاملا مهم في تفوقها، يعدد «إيفان أندروز» مجموعة من الأسباب التي جعلت شبكة الطرق هذه من اهم الأسباب التي ساعدت روما على حكم العالم أهمها:

كانت مستقيمة قدر الإمكان، المباشرة في تخطيط المسارات جعلت المسافات أقرب والقدرة على التحرك أسهل وأسرع، في بعض الأماكن جرى بناء جسور وأنفاق لكي يمر المسار فوق الأنهار أو عبر الجبال مباشرة، منح هذا تفوقا ومفتاحا مهما للقوة العسكرية القادرة على التحرك مسافات أطول في وقت أقصر، وتقليل نسبة إرهاق الجنود.

البراعة والخبرة في إنشاء الطرق المعبدة، كان يتم حفر خندق كبير في البداية يتم ملؤها بعدة طبقات مختلفة من الحجارة والحصى وصولا إلى الطبقة السطحية التي تستخدم فيها كتل حجرية مرتبة بعناية، كما يتم بناء جدارين على جانبي الطريق وفي بعض المناطق تزود بقنوات لتصريف المياه، والبناء بهذه الطريقة المعقدة جعل كثيرا من هذه الطرق لا تزال صالحة للاستخدام حتى يومنا هذا بعد مرور 2000 سنة.

الخدمات وسهولة الوصول، العلامات على الطرق وتحديد المسافات والاتجاهات نحو المدن والقرى جعلت الاسترشاد سهلا والسفر متاحا حتى لمن لا يملك خبرة بالترحال ومعرفة المدن وجغرافيتها، أيضا وجود ما يشبه النزل والبريد عبر هذه الطرق جعل السفر من خلالها أكثر يسرا وراحة.

الحماية، كانت الطرق مؤمنة بالجنود المتوزعين على محطات الطرق وأحيانا أبراج مراقبة، من أجل حماية الإمبراطورية من أي خطر مفاجيء، وأيضا من أجل مهمات أمنية أخرى مثل القبض على الفارين من ملاحقة ما، أو العبيد الهاربين ونحوهم من المهام، إضافة الى ذلك وفّر وجودهم أمانا نسبيا من أخطار قطاع الطرق.

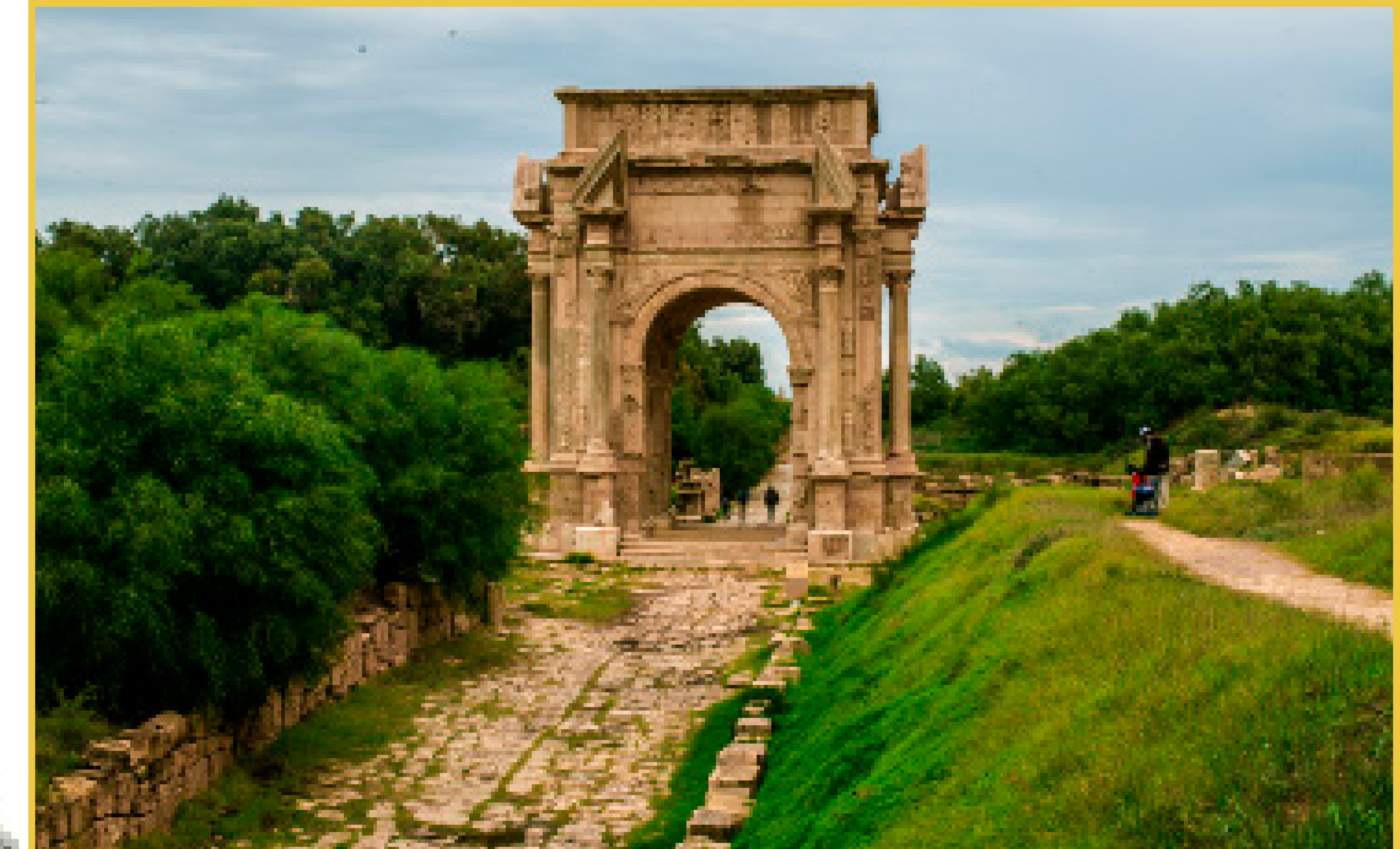
الفرقة العسكرية الهندسية !

وكانت مهمة تشييد الطرق تقع في أغلب الأحيان على عاتق الفرق العسكرية في الجيش الروماني، إذ للطرق أهمية عسكرية لا تقل عن أغراضه التجارية والمدنية، من حيث تيسير وصول الإمدادات والتنقل وأعمال المراقبة وغير ذلك مما تمنحه الطرق المعبدة وغير المعبدة من تفوق عسكري في معاركهم، ومن تلك الفرق العسكرية الشهيرة التي عملت في ليبيا وكان لها دور في تشييد بعض الطرق «فرقة أوغستا الثالثة» يقول جيمس ويلارد:- «والجيش الروماني الذي كان أقوى تنظيم عسكري ابتدعته البشرية في تاريخها القديم كانت قوامه الفرقة، وكانت مهمة القتال للفرقة شأنا عرضيا فقط، أما في وقت السلم فإن هذا الجيش كان مؤسسة لا غنى عنها بما كانت تضم من مهندسين وبنائين ومعماريين وقائمين بمهمات التمدين والتحضير، وكان الانخراط في سلك فرقة أوغستا الثالثة مقصورا على الرومانيين في بداية الأمر ثم فتح المجال أمام أبناء البلاد الأصليين للانخراط في سلكها، وكان عضو الفرقة بغض النظر عن جنسيته ينذر نفسه لوحدته كما ينذر الراهب نفسه للسلك الذي يختاره، وكان لكل فرقة مستشفى بهيئة طبية فيها الجراحون وأطباء الأسنان وأطباء العيون.»

علامات الطرق

اكتشف في ليبيا عدد من حجارة الطرق التي كانت بمثابة علامات الطرق الحديثة؛ وهي في العادة عبارة عن حجارة كلسية أسطوانية الشكل يبلغ ارتفاع الواحد منها حوالي سبعة أقدام، ويبلغ نصف قطره حوالي خمس عشرة بوصة، وكان يثبت في ثقب مناسب في قاعدة حجرية مستطيلة ومنفصلة عنه. وقد وجدت حجارة بيضوية الشكل وأخرى على شكل أعمدة قصيرة ذات أربعة أوجه، وكان ينقش على هذه الحجارة أسماء ولقب الإمبراطور الحاكم وطول المسافة بالأميال الرومانية وكان الميل الروماني يساوي 1480 مترا أي 1616 ياردة، وقد نجد في المكان الواحد أكثر من حجر واحد يرجع إلى عهود أباطرة مختلفين.





حجر تحديد مسافات في مدخل مدينة لبدة الكبرى منقوش عليه في عام 15 - 16م أنشأ الحاكم لوشيوس إيليوس لاميا هذا الطريق المتجه إلى الدواخل من البحر الأبيض المتوسط ولمسافة 44 ميلا.

بعض أهم الطرق في ليبيا خلال العهد الروماني:

يعدد الدكتور عبد اللطيف البرغوثي ببعض التفصيل مجموعة من أبرز الطرق التي كانت مستخدمة في ليبيا إبان الفترة الرومانية كان أهمها:-

الطريق الساحلي: الطريق الساحلي الكبير الذي كان يربط الاسكندرية بقرطاجة. وقد تم التعرف على ما يزيد عن ستة عشر حجراً من حجارة هذا الطريق.
- طريق الجبل: وهي طريق عسكرية استراتيجية كانت تسير على محاذاة خط توزيع المياه على طول الجبل من لبدة إلى قابس. وقد شملت طريقاً أقدم منها ترجع إلى أيام البروقنصل ل. إيليوس لاميا L. Aelius Lamia، وكانت تمتد من لبدة إلى نقطة تقع قرب ترهونة الحديثة، وقد اكتشف عدد من حجارة هذه الطريق.

طريق دورة الجبل الشرقي: وهي طريق كانت تصل لبدة بأويا وكانت تسير إلى الجنوب من الطريق الساحلي الرئيسي مارة بالجبل الشرقي حتى تقطع طريق الجبل ومن هناك تستمر إلى عين شرشارة ومن ثم تتجه إلى الشمال الغربي عن طريق وادي الرملة وتعبر سهل الجفارة إلى أويا.

ولا شك أن الرومان أوجدوا شبكة مناسبة من الطرق في برقة على غرار ما فعلوا في طرابلس وغيرها من ولاياتهم الأخرى، ولقد وجدت حجارة معالم الطرق الرومانية في عشرة مواقع في برقة حتى الآن، ويبدو انه كانت في البنطابولس ثلاث طرق رئيسية تلتقي جميعها في قورينا، ولابد أن المتطلبات العسكرية فيها اقتضت إيجاد شبكة أخرى من الطرق تربط الساحل بالدواخل كما كانت الحال في منطقة طرابلس.

لم تكتشف خارج المدن الساحلية في منطقة طرابلس آثار أية طريق مرصوفة، مما يجعلنا نفترض أن تلك الطرق غير الساحلية كانت حتى الرئيسية منها طرقاً ترابية.

محطات الطرق

كانت محطات الطرق تختلف في حجمها وطبيعتها؛ فبعضها كانت مجرد علامة بارزة على الطريق، وبعضها كانت تقام فيها قلاع محصنة للدفاع عنها باعتبارها مواقع استراتيجية، والبعض الآخر منها كان في مناطق زراعية مما جعلها تنمو وتتحول إلى قرى عامرة على جانبي الطريق.



طلميثة.. نماذج ثلاثية الأبعاد

الإسم:

اسم طلميثة أو «بطوليميس - Ptolemais» هو نسبة إلى أحد البطالمة الذي يرجع إليه التأسيس الأول للمدينة التي كانت ميناء قبل ذلك، وعلى الأرجح هو بطلميوس الأول في القرن الرابع قبل الميلاد.

المكان والمكانة

د. إبراهيم نصحي: إنشاء قوريني وشقيقاتها

«تقع طلميثة على الساحل إلى الشمال من برقة، وقد كانت أسوارها في عهد البطالمة تضم مساحة أكبر من مساحة مدينة سيرين. ولقد دلت الحفريات على أن شوارع هذه المدينة كانت مستقيمة ومتعامدة، وتدل كثرة البناء وكثرة التعديلات التي أدخلت على الأبنية القائمة في العصر الروماني على أن هذه المدينة كانت لا تزال مهمة بعد الاحتلال الروماني، والواقع أنها هي وأبولونيا أصبحتا المدينتين الرئيسيتين في برقة ابتداء من القرن الميلادي الثالث. وفي القرن الميلادي الرابع صارت طلميثة مركز أسقفية ثم عاصمة ولاية، ولكن غارات القبائل البربرية عليها اشدت ابتداء من ذلك القرن مما أدى إلى نقض عدد كبير من مبانيها من أجل إقامة قلعة وحصون لتعزيز سورها الطويل الذي لم يكن الدفاع عنه أمراً سهلاً.

ولقد ورد في رسائل سونسيوس أسقف هذه المدينة (373 – 414 م) وصف مفصل للأحوال المضطربة في هذه الفترة، وكان سونسيوس هذا فيلسوفاً على طريقة الافلاطونية الحديثة كما أنه كان صياداً، وهو لم يعمَّد إلا بمناسبة تعيينه أسقفاً للمدينة سنة 410 م، وحتى آنذاك فإنه قبل ذلك التكريم متردداً واشترط أن يسمح له في الاستمرار بالاحتفاظ بزوجته. وكان سونسيوس زعيماً قديراً كما أنه كان ماهراً في التكتيك العسكري. ولابد أنه قام بدور فعال في تنظيم الدفاع عن المدينة وفي بناء التحصينات وبناء كنيسته التي تشبه القلعة في طلميثة، ولقد عززت وسائل الدفاع والتحصينات التي أُقيمت في أيامه في طلميثة خلال بقية العصر البيزنطي.»

ونظرا لما اكتسبته هذه المدينة من أهمية بالغة على الدوام وخصوصا في عصورها الرومانية، فليس من المستغرب الغنى الأثري الذي تتميز به طلميثة اليوم، سواء بآثارها من مسارح وشوارع ونصب وأضرحة وفوروم وميناء وكنائس ودارات «فيلات» وغير ذلك، أو بالقطع والمقتنيات ولوحات الفسيفساء التي تزين متحفها الذي افتتح قبيل الحرب العالمية الثانية، وكذلك تلك القطع المنقولة إلى متاحف أخرى مختلفة.

المؤلف والمؤرخ البريطاني هنري كوبر طرابلس 1895-1896م

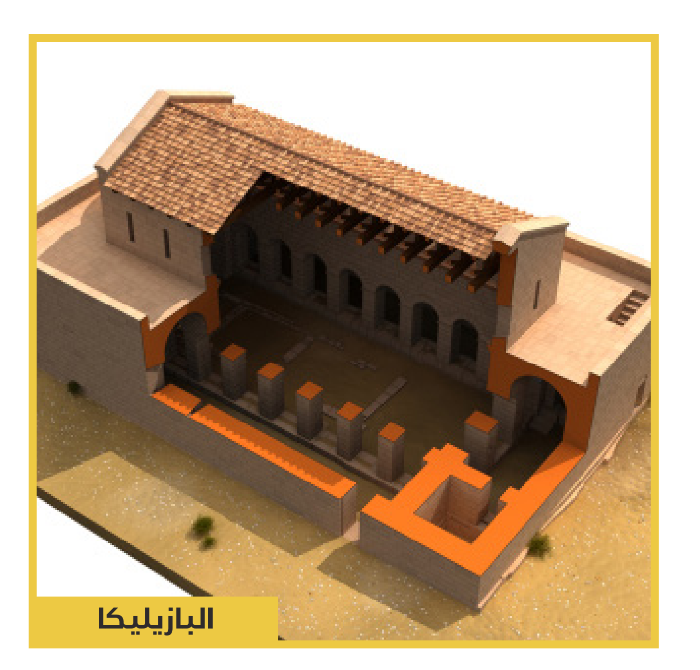
د. عبد اللطيف البرغوثي: التاريخ الليبي القديم

البازيليكا

«ويلفت نظر المرء بقايا مباني البازيليكا المسيحية والتي بلغ عددها اثنان وربما كان أحدها مقرا للأسقفية التي كان يرأسها الأسقف سونسيوس، هذا ويرجع بداية استكشاف [تنقيب] طلميثة إلى سنة 1848 من قبل فاتيير دي بورفيل الذي كان يشغل منصب نائب القنصل الفرنسي في مدينة بنغازي»

ويرجع تاريخها إلى مطلع القرن الخامس الميلادي، وربما كان بناؤها على يدي الأسقف سونسيوس. ويدل بناؤها على أنها حولت عن بناية قديمة إلى كنيسة حصينة يسهل الدفاع عنها، وفي زاويتها الشمالية الشرقية معمدانية مقببة، وإلى الشمال الشرقي توجد آثار كنيسية أخرى مشابهة للبازيليكا المذكورة.

غوليالم ناردوتشي: استيطان برقة قديما وحديثا
د. عبد اللطيف البرغوثي: التاريخ الليبي القديم


البازيليكا

بيت ليوكاكتيوس

يقول ييجي جيلازوفسكي:-

خلال التنقيبات عثر على عدة بيوت سكنية من بينها بيث ضخم والذي أطلق عليه بيت ليوكاكتيوس مكون من عدة صالات مزخرفة بشكل غني تطوق باحة معمدة، ذات أعمدة أربعة، في وسط الباحة المعمدة توجد بركة (حوض) ليست عميقة، أرضيتها من فسيفساء ذات زخارف هندسية في وسطها كتابة تعبر عن التمنيات بالتوفيق لصاحب البيت ليوكاكتيوس ونجد نفس النقش الكتابي في فسيفساء حجرة الطعام الجنوبية. وقد تم الكشف عن لوحات جدارية في هذا الجزء من البيت تقلد الرخام المتعدد الألوان وتصل هذه اللوحات إلى ارتفاعات عالية.

إلى الغرب من الباحة المعمدة توجد صالة ذات أرضية غنية بالزخرفة حيث نجد فسيفساء متعددة الألوان في وسطها لوحة مأطوره تصور لوحة أسطورية لديونيسوس مع حاشيته وأدرياني النائمة في ناكسوس، وعلى جدارهما لوحات زخرفية الشكل معمارية مع لوحات مؤطرة فيها طيور وأشكال لكائنات حية بين الأعمدة الكورنثية، كما يوجد قوس ضخم يوصل من هذه الصالة إلى فلحق صغير ذي أعمدة كورنثية حلزونية مغطاة بكثافة بألوان متنوعة و زخارف.

وكان المدخل الرئيسي لبيت ليوكاكتيوس يقع على الشارع الغربي ويؤدي إلى عتبة تؤدي بدورها إلى باحة صغيرة يفتحها تجويف نصف دائري أو ما يطلق عليه (الشرفية) وكان صاحب البيت يستقبل فيها الزائرين

ويمكننا القول بناء على ما تبقى من اللوحات الجدارية في بيت ليوكاكتيوس أن النظام الزخرفي المتبع اتخذ شكل لوحات مؤطرة ملونة مقسمة إلى ما يسمى اللوحات المؤطرى الداخلية مع موتيفات نباتية، أما في الصالات الرسمية الفخمة فاللوحات تقلد بالرخام، وكل اللوحات الجدارية التي كانت تغطي جدران البيت نفذت بتقنية الفريسكو المبلل على ملاط كلسي.
ولقد تم العثور في المنزل على حوالي 150 قطعة زجاجية بما فيها زجاج النوافذ، ويعود تاريخها بين القرن الثاني وحتى السادس الميلادي.

جاكوب كانيشيفسكي Jakub Kaniszewski وهو أحد أعضاء البعثة الأثرية البولندية التي عملت عدة سنوات في التنقيب بمدينة طلميثة، قام برسم نماذج ثلاثة الأبعاد تحاكي تصورا قريبا للصورة الأصلية لما كانت عليه مباني كل من البازيليكا ومنزل ليوكاكتيوس.

General remarks on Polish excavations in Ptolemais
PTOLEMAIS IN CYRENAICA STUDIES IN MEMORY OF TOMASZ MIKOCKI
Glass with cut decoration from the House of Leukaktios


البازيليكا


كنيسة



بيت ليوكاكتيوس



الفريسكو
ذاكرة الألوان

منذ القدم .. كانت الجدران هي الخطوة الأولى التي شق منها الإنسان طريقه إلى الفن، ولا يحتاج المرء سوى أن ينظر إلى جدران الكهوف والصخور وحواف الأودية التي جعلها الإنسان لوحته الفنية الأولى، وينتشر هذا النوع المبكر الذي يعرف بالفن الصخري Rock Art في مناطق واسعة من ليبيا أشهرها هضبة مساك صطفت في صحراء فزان جنوب غرب ليبيا، مواقع مثل وادي متخندوش ووادي عويس وجبال أكاكوس غنية بمثل هذا السجلات التاريخية العظيمة عن بداية الفن والرسم في تاريخ ليبيا.

تطور شغف الرسم على الجدران عبر عصور مختلفة، فأنت تجد ذلك مثلا في غدامس التي تعتمد منازلها في زينتها أساسا على الزخرفة والرسم على الجدران وبكميات كبيرة، معتمدة في ذلك على ألوان ومواد وتقنية محلية فريدة كان أهم ألوانها الأحمر والأخضر، ومنحت تلك الرسوم الغدامسيين هوية فنية خاصة بمدينتهم.

من أهم أنواع الرسم على الجدران المنتشرة في ليبيا هو فن «الفريسكو» أو التصوير الجصي على الجدران، وهو منتشر على نطاق واسع في المقابر مثل تلك المكتشفة في جنزور صبراتة وسرت وزاوية اسقفة وقورينا ومناطق أخرى، والدارات «الفيلات» الرومانية مثل تلك الموجودة في طلميثة ولبدة الكبرى وطرابلس وغيرها، وكذلك الحمامات العامة والخاصة كحمامات الصيد في لبدة الكبرى التي تزخر برسوم جدارية عديدة من هذا النوع وفي العموم فهي تقنية فنية منتشرة في ليبيا.

وكلمة (فريسكو Fresco) تعني في الأصل الرطب أو الطازج وتستخدم اصطلاحا لوصف هذا الفن الجداري الجصي، والذي يعتمد أساسا على الرسم بالألوان فوق الجص أو الجبس وهو رطب قبل أن يجف، أي أنه يتطلب براعة وخبرة وسرعة في تنفيذ العمل الفني على الجدران اذ يتعذر تعديل الرسم أو تغيير الألوان أو تصحيح أخطاء بالجدارية إن وجدت، وهذه الطريقة تضمن استمرارية الألوان لفترات طويلة حيث تتشرب الألوان المائية بدرجة كافية داخل الطبقة الخارجية للجدار الجصي، ولا يستغرب أن كثيرا من هذه الرسومات لا تزال في حالة جيدة حتى يومنا هذا رغم مرور كل هذه القرون بعواملها الطبيعية والبشرية المختلفة، وهناك طريقة أخرى مشابهة لها وتسمى طريقة «التمبرا Tempra» لكنها بعكس الفريسكو تعتمد على رسم الألوان المذابة في الماء على الجدران الجصية بعد جفافها تماما.

ماركوس فيتروفيوس، مهندس معماري وفنان وكاتب روماني عاش في القرن الميلادي الأول وألف موسوعته الشهيرة من عشر كتب والتي تعرف باسم (دي اركيتيتورا De Architectura) والتي تعنى بالبناء والهندسة المعمارية بمختلف جوانبها ومواضيعها، وقد شرح في كتابه هذا بالتفصيل طريقة تنفيذ جداريات الفريسكو، حيث يتم في البداية اعداد الملاط على الجدران عن طريق عدة طبقات ما بين ثلاثة إلى ستة، الطبقات الأولى تكون من الجص المخلوط بالرمل وتكون في العادة طبقة خشنة الملمس، أما الطبقات الخارجية فتكون في العادة من الجص المخلوط بمسحوق التراكوتا أو الرخام، أما الألوان المستخرجة غالبا من مواد طبيعية نباتية أو معدنية فتستخدم على شكل خليط سائل للتصوير فوق الجدران وبعد اتمام الرسم يتم تلميعه أحيانا باستخدام الشمع، والفريسكو كما أسلفنا يعتمد على الرسم على الجدران الرطبة وبالتالي فهو لا يحتاج إلى وسيط تثبيت للألوان بعكس طريقة التمبرا حيث يتم الاستعانة بالأصماغ وبعض أنواع الدهون وخلطها مع الألوان.

حمامات



وأما المواضيع التي تتناولها هذه الجداريات فلا يمكن حصرها لتنوعها وكثرتها، مثل مشاهد من الحياة اليومية، أو تصوير لبعض الأساطير الدينية والطقوس الجنائزية، أو مشاهد انتصارية، أو زخارف نباتية، أو صور لحيوانات وغير ذلك من سائر المواضيع التي تختلف باختلاف المكان والزمان والغرض من المبنى الذي تم تزيينه بتلك الرسوم.

سدرة الباليك

المقبرة أو المجمع الجنائزي «سدرة الباليك» الذي عني بدراسته وترميمه البروفيسور الإيطالي أنطونيو دي فيتا، هو عبارة عن مقبرة تقع في مدينة صبراتة، ويرجع تاريخها بحسب دي فيتا إلى القرن الرابع للميلاد، وتتميز باتساع مساحتها تحت الأرض وبمجموعة الرسوم الجدارية المتنوعة التي ظل بعضها في حالة جيدة في الأساس، والبعض الآخر تمت استعادته بفضل أعمال البعثة الأثرية التي قادها دي فيتا، وتنوعت الرسومات الموجودة فيها بين زخارف هندسية ونباتية ورسوم لحيوانات ومشاهد أخرى جنائزية

حمامات الصيد

يوجد في مدينة لبدة الأثرية عدد من الحمامات الخاصة والعامة حيث كانت الحمامات من المرافق الأساسية التي تحظى بعناية في المدن الرومانية، وبالقرب شواطئ مدينة لبدة الكبرى تقع «حمامات الصيد» وقد اكتسبت هذا الإسم أيضا بسبب الرسوم الجدارية داخلها التي تمثل بعضها مشاهد للصيد، ويرجع تاريخ هذه الحمامات إلى العهد السفيري بين سنتي 193 - 235 للميلاد.

تزين جداريات الفريسكو جدران حمامات الصيد بمشاهد متعددة يظهر في إحداها قارب يحمل اثنين من الصيادين، ومبان سكنية على ضفة نهر وبعض الحيوانات مثل الكلب والبط، بخلاف مشاهد صيد لحيوانات مفترسة والتي تعتبر أهم وأشهر الرسومات في هذا المبنى.

اللغوي والفقيه ابن الأجدابي ..
سيرته ومؤلفاته

يقول الزركلي في كتابه الشهير «الأعلام» وهو يذكر اسم ونسب وترجمة ابن الأجدابي» (ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الاجدابي، أبو إسحاق، لغوي باحث، من أهل طرابلس الغرب، نسبته إلى اجدابية «على نحو 15 مرحلة منها» له كتب، منها «كفاية المتحفظ» وكتابان في «العروض» ومختصر في «علم الانساب» و «الازمنة والانواء»..)

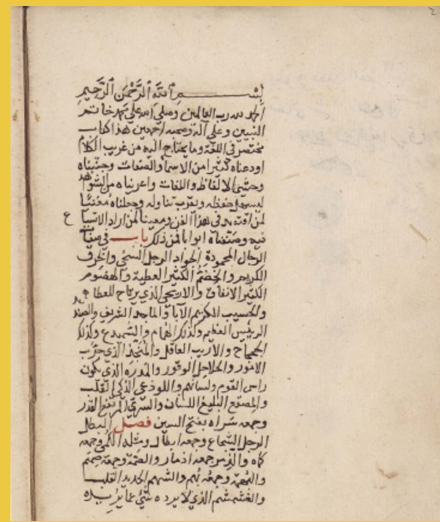
ويقول اسماعيل ابن محمد الباباني في كتابه «هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»:

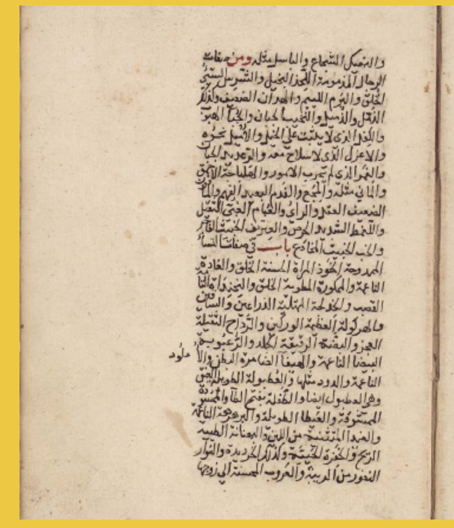
(ابن الاجدابي - ابراهيم بن اسماعيل بن احمد بن عبدالله اللواتي المغربي الطرابلسي المعروف بابن الأجدابي نسبة إلى اجدابية . ولد بطرابلس الغرب ونشأ بها كان فاضلا اديبا لغويا).

وأفضل من ترجم له وذكر سيرته واعتمد على حديثه بقية المؤلفين في التراجم والسير هو التجاني عبد الله بن محمد في رحلته المعروفة باسم «رحلة التجاني» حيث يقول فيها :-

(وزرت هنالك [طرابلس] أيضا قبر الفقيه الإمام أبي اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله الأجدابي اللواتي الطرابلسي وهو قبر معظم يكثر الناس زيارته والدعاء عنده **و كان الفقيه أبو اسحاق هذا من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاما وفقها ونحوا ولغة وعروضا ونظما ونثرا** وله تآليف جليلة وأسئلة مفيدة في الفقه وغيره ومن جملة تآليفه كتابه المتداول المسمى بكفاية المتحفظ، وكتابه في العروض ناهيك به حسنا وترتيبا وتهذيبا وهو نسختان كبرى وصغرى، وكتابه في الرد على أبي حفص بن مكى في تثقيف اللسان، و كتابه في شرح ما آخره ياء مشددة من الأسماء، ... وكان رحمه الله من أحسن الناس خطا.











ورسالته المعروفة بـ(رسالة الحول) تعرب عن أدب كثير وحفظ غزير، وكان الفقيه أبو اسحاق أحول، وسبب تأليفه لها أنه حضر يوما بطرابلس عند القاضي بها أبي محمد عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابن هانش الطرابلسي، فحكم ابو محمد بحكم أخطأ فيه فرد عليه الفقيه أبو اسحاق فقال له : (اسكت يا أحول فما استُدعيت ولا استُفتيت) .. فألف تلك الرسالة.

و كفى بهذا الرجل المعظّم القدر فخرا لهذا القطر، ولم تكن له رحلة عن بلد طرابلس إلى غيرها، وقد سئل أنّى لك هذا العلم ولم ترتحل» فقال: اكتسبته من بابي هوارة وزناتة وهما بابان من ابواب البلد نسبا إلى من نزل بهما في أول الزمان، يشير أنه انما استفاد ما استفاد من العلم بلقاء من يفد على طرابلس فيدخل من هذين البابين من المشرقيين والمغربيين، و كان له اعتناء بلقاء الوفود والقيام بضيافتهم.)

ويقول الدكتور السائح علي حسين في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن الأجدابي «كفاية المتحفظ» :

(لئن كان ابن الأجدابي قد لازم طرابلس ولم يفارقها طوال حياته فإن كتابه [كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ] قد شرق وغرب في العالم الإسلامي كما احتل مكانه في مكتبات العالم ومتاحف المخطوطات مما يؤكد اهتام الناس به على مر العصور.

وقد ذكر بروكلمان وجود نسخ منه في مكتبات: برلين وجوتا، المتحف البريطاني، مكتب جمعية المستشرقين الألمان، جاريت، الاسكندرية، باتنة، كمبردج، لينتجراد، فيينا، الجزائر، لاله لي، شهيد باشا، القاهرة، رامبور، بنكيبور.

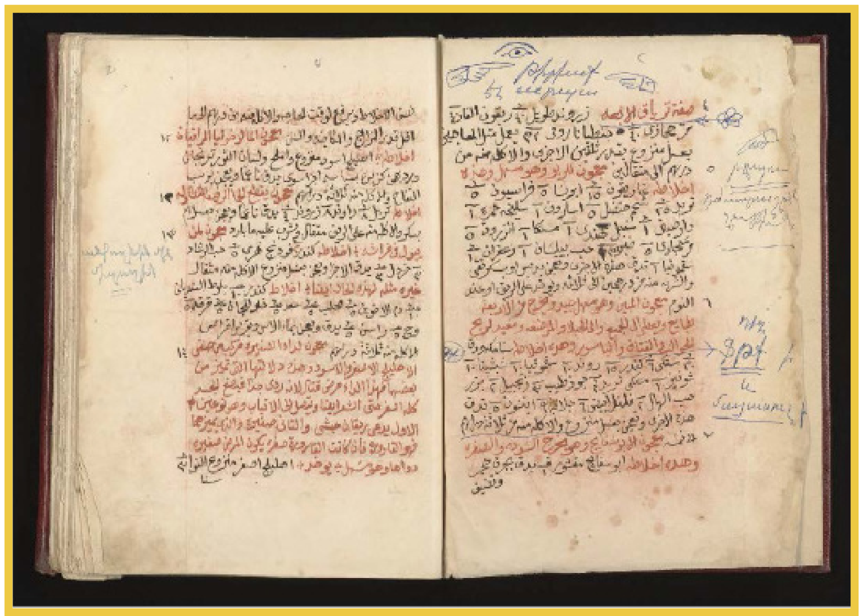
ومنه نسختان في مكتبة باريس الوطنية، وفي مكتبة كوبريللي، وفي تونس نسختان بالمكتبة الأحمدية بتونس في الزيتونة، ومكتبة حسن حسين عبد الرهاب، ونسخة بجامعة الرياض، وبمكتبة جامع صنعاء ثلاث نسخ، ومركز جهاد الليبيين، والمكتبة الظاهرية، وقد طبع في القاهرة سنة 1287هـ وفي بيروت سنة 1305هـ وفي حلب سنة 1343هـ)

ويفصل الأستاذ أحمد مختار عمر في كتابه «النشاط الثقافي في ليبيا» متحدثا عن أولى طبعات الكتاب فيكتب:

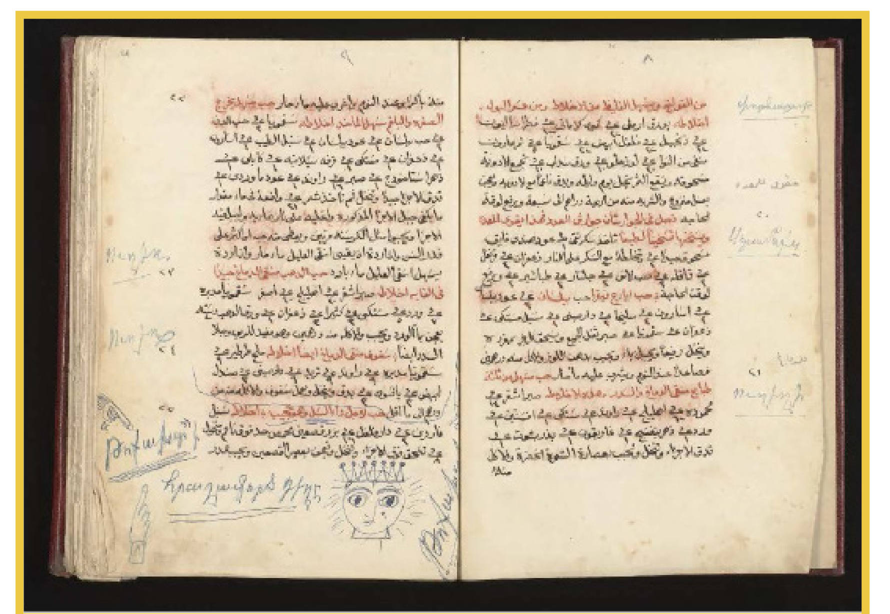
(طبع الكتاب في مطبعة وادي النيل بالقاهرة عام 1285هـ عن نسخة مضبوطة بقلم الشيخ نصر أبي الوفاء الهوريني، وفي بيروت عام 1305 هـ، وفي المطبعة الخيرية بالقاهرة عام 1323 هـ، وفي حلب ضمن مجموعة عام 1345 هـ. والكتاب صغير الحجم؛ إذ يبلغ في بعض الطبعات 55 صفحة وفي بعضها الآخر 80 صفحة، ومع ذلك فقد لاقى رواجا عند العلماء وطلاب الدرس اللغوي.

أما موضوعه فنترك ابن الأجدابي نفسه يحدثنا عنه في قوله في مقدمة الكتاب الموجزة:

«هذا كتاب مختصر في اللغة وما يحتاج إليه من غريب الكلام، أودعناه كثيرا من الأسماء والصفات، وجنبناه حوشي الألفاظ واللغات وأعريناه عن الشواهد ليسهل حفظه ويقرب تناوله، وجعلناه مغنياً لمن اقتصد في هذا الفن، ومعيناً لمن أراد الاتساع فيه، وصنفناه ابوابا»).
و يقول أحمد النائب الانصاري





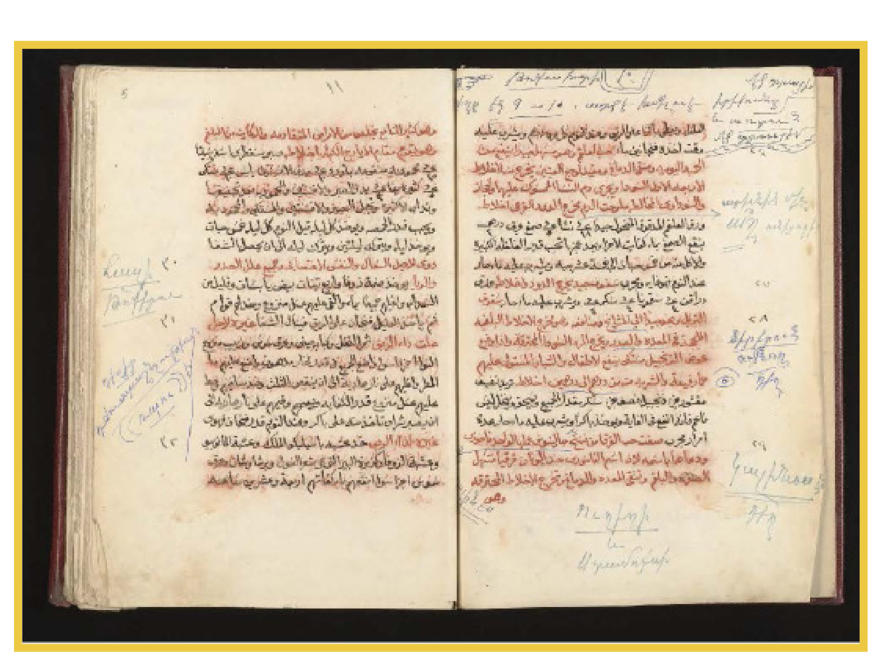


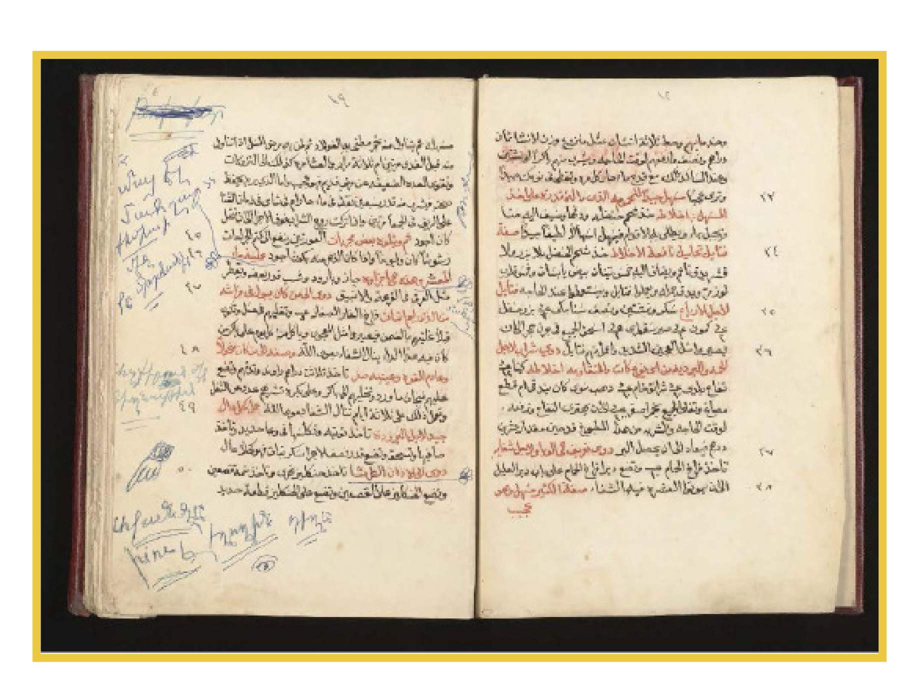
الطرابلسي في كتابه «المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب» وهو يتحدث عن اهتمام العلماء بكتابه وثناءهم على مؤلفه: (هو الإمام الحافظ أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن الأجدابي نسبة إلى «أجدابية»، ولد بطرابلس ونشأ بها وحضر مجالس العلم وصحب مشايخ عصره.

أثنى عليه المجد اللغوي في بعض تصانيفه، وذكره الجلال السيوطي في «البغية» ووصفه بالجلالة في العربية، واعتنى بهذا المختصر وهو «كفاية المتحفظ» جمع من الأئمة المقتدى بهم واعتمدوه، وأكثر من النقل عنه الامام الحافظ الثقة أحمد الفيومي في كتابه «المصباح المنير»، والإمام كمال الدين الدميري في «حياة الحيوان» وغيرهم، وعدله بالمصنفات الكبار كالمصباح و التهذيب والمجمل ونحوها وربما اختار كلامه في المصباح عنهم أحيانا.

واعتنى بخدمته الإمام الأديب العلامة جمال الدين قاضي الحرم محمد بن أحمد عبد الله بن أبي بكر بن محمد الطبري، فنظمه في نحو ألف وثلاثمائة بيت نظما لطيفا حلوا على ارتكاب اوهام وبعد افهام ومدحه الفقيه الأديب العلامة جمال الدين علي بن صالح العدوي فأجاد حيث قال:

من كان يطلب في الغريب وسيلة
.. من شاعر او كاتب متلفظ
أو كان يبغي في الكلام بلاغة ..









فليحفظنّ كفاية المتحفظ)

وفي تحديد سنة ولادته ووفَاته ونشأته ثمت خلاف بين المؤلفين والمؤرخين، يتحدث عن ذلك أحمد مختار عمر في كتابه «النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي» قائلا:

(ومع شهرة هذا العالم وكثرة ما خلفه وراءه من مؤلفات ذات قيمة كبيرة لم تصلنا عنه ولا عن أسرته وكيفية نشأته معلومات كافية، بل لم يتفق المؤرخون وكتاب التراجم حتى على تحديد زمان تقريبي لميلاده ووفاته.

فوضعه كل من أحمد بن الحسين النائب الأنصاري، وابن الطيب الفاسي في صدر المائة السابعة للهجرة، وتبعهما الدكتور عزة حسن الذي ذكر انه توفي عام 650 ه

أما الأستاذ المصراتي ففي كلامه عن هذه النقطة خلط واضطراب. فهو يذكر أن ابن الأجدابي من صدر المائة السابعة للهجرة، ثم يذكر في مكان آخر قصة صدامه مع ابن هانش الطرابلسي، ويذكر فترة ولاية ابن هانش بما بين عامي 744 ه و 777 ه، ولم ينتبه الأستاذ المصراتي إلى ان التاريخ الذي ذكره لابن هانش يمتد فيشمل ثلاثة أرباع القرن الثامن فكيف يكون ابن الأجدابي على هذا من صدر المائة السابعة التي تبدأ بعام 601؟ وصحة تاريخ ولاية ابن هانش من 444 إلى 477 أي بفرق ثلاثة قرون، وتبعا لذلك يتضح خطأ الأستاذ المصراتي الثاني حيث اعتبر ابن الأجدابي من صدر المائة السابعة وهو لم يتجاوز المائة الخامسة.

وحدد حاجي خليفه في كشف الظنون واسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين وفاته بحوالي سنة 600 ه، أي اعتبراه من علماء القرن السادس الهجري.

ويضعه التجاني في القرن الخامس الهجري ويتابعه في ذلك الشيخ الطاهر الزاوي، والدكتور إحسان عباس.

وهذ الرأي هو أصح الآراء، وأقربها إلى القبول؛ لأن ابن الأجدابي كان معاصرا لأبي محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن هانش قاضي طرابلس في المدة من عام 444 إلى عام 477، وله معه قصة ذكرها التجاني في رحلته.

ولابد ان يكون لابن الأجدابي كتب أخرى لم تصلنا حتى أسماؤها. ويبدو أن من بين هذه الكتب كتابا في الكيمياء أو الصنعة - كما كانت تعرف إذ ذاك.
فقد عثرت على نص في أحد كتب الكيمياء المحفوظة في المتحف البريطاني، والمجهولة المؤلف والعنوان، وهذا النص يقول في معرض الرد على بعض الناس الذين لا يفهمون أقوال الحكماء وينسبونهم إلى الغلط:

«فينبغي أولاً أن يأخذ بما أوضحه الشيخ الصالح الواصل الحكيم أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ أبي الطاهر بن إسماعيل الأجدابي رحمه الله تعالى آمين، حيث كشف رموز الحكماء وقربه للطالب، فمن طالع أبوابهم المرموزة، ولم يتبين له ما أومئوا إليه ... فليرجع إلى مطالعة ما بينه الشيخ المذكور في أسماء ما أغمضوا به يقع من ذلك على كثير من مطلبه، فمن أول ما شرح في تأليفه انه قال: «أعلم وفقك الله ان جميع ما في العالم من المصنوعات اربعة أجناس وهي الحيوان والإنسان والجماد والنبات. فأما الجماد فلا شيء فيه بالإجماع، وبقية الأجناس الثلاثة فيها العلم موجود ... واعلم ان الأجساد سبعة والأزواج سبعة والأحجار سبعة، كل هذه تدخل في تدبير الصنعة») .

ومؤلفاته التي نعرفها ثمانية:

1.كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ.

2. الأزمنة والأنواء.

وهذان الكتابان الأول والثاني هما الوحيدان الموجودان حتى اليوم، أما البقية فهي مفقودة ولا يعرف سوى أسماءها ووصفها من كتب المؤرخين والمؤلفين الذين اطلعوا عليها قديما.

3. كتاب في العروض قال عنه التجاني: «ناهيك به حسنا وترتيبا وتهذيبا، وهو نسختان كبرى وصغرى» .

4. كتاب في الرد على أبي حفص بن مكي في تثقيف اللسان.

5. كتاب في شرح ما آخره ياء مشددة من الأسماء.

5.كتاب مختصر في علم الأنساب.

7.رسالة في الحول.

8.تآليف جليلة وأسئلة مفيدة في الفقه.





سرت القديمة .. وجامعها الكبير

علـى بعـد نحـو 55 كيلـو مـترا شرق مدينـة سرت الحاليـة تقـع مـا يسـميها أهـل المنطقـة بـ(المديّنـة) -بتشـديد اليـاء- تصغـيرا للمدينـة، والمعروفـة أيضـا بمدينـة سـلطان أو مدينـة سرت الإسـلامية القديمـة التـي تحـوي أطـلال مبـان أثريـة كثـيرة انـدرس معظمهـا بفعـل عوامـل بشريـة وطبيعيـة عـبر الزمـن، لكـن سـنوات طويلـة مـن التنقيـب والبحـث كشـفت عـن كثـير مـما تبقـى مـن تلـك المبـاني والمقتنيـات الأثريـة.

يقـول أبـو عبيـد اللـه البكـري (1030 – 1094م) الجغـرافي الشـهير : «سرت مدينـة كبـيرة علـى سـيف البحـر عليهـا سـور مـن طـوب وبهـا جامـع وحـمام وأسـواق ولهـا ثلاثـة أبـواب قبـلي وجنـوبي وبـاب صغـير إلى البحـر ليـس حولهـا أربـاض ولهـم نخـل وبسـاتين وآبـار عذبـة وجبـاب كثـيرة» تعـرف سـلطان بآثارهـا الإسـلامية حيـث عـثر فيهـا علـى عـدد مـن المسـكوكات والعمـلات الإسـلامية، وكذلـك قطـع فخاريـة، وشـواهد قبـور، وأطـلال حصـون وآبـار وصهاريـج، لكـن المعلـم الأهـم كان ولا يـزال مسـجدها الـذي لم يبـق مـن آثـاره إلا القليـل، لكنـه كان كافيـا ليسـترعي اهتـمام الباحثـين وعلـماء الآثـار والبعثـات الأثريـة، كـما كان محوريـا في وضـع النقـاط علـى الحـروف فيـما يخـص دور سرت وأهميتهـا التاريخيـة عمومـا وفي العهـد الفاطمـي علـى وجـه الخصـوص.

يمتـد المسـجد الجامـع علـى مسـافة 41 مـترا طـولا، و31 مـترا عرضـا وقـد دلـت أعـمال التنقيـب أنـه بنـي علـى عـدة مراحـل، ليـس مـن السـهل تحديـد تاريـخ بدايـة بنـاءه لكـن مـن المرجـح أنـه ليـس قبـل القـرن الثامـن الميـلادي بحسـب تقديـرات الأثريـين، أمـا المرحلـة الثانيـة والأهـم والتـي تتمثـل بمبنـى كامـل وتوسـعة كبـيرة للمسـجد فمـن المرجـح أن الخليفـة الفاطمـي المعـز هـو مـن أمـر بهـا مـا بـين عامـي 953م – 965م، لم يبـق مـن جـدران المسـجد اليـوم سـوى ارتفـاع منخفـض لكنهـا تبـين معالمـه وطريقـة بنـاءه وأبعـاده ومخططـه بوضـوح.

أمـا مدينـة سرت القديمـة نفسـها فقـد قـدرت مسـاحتها بنحـو 184003 مـترا مربعـا وبلـغ طـول سـورها 1650مـترا، ولقد كشـفت البعثـة الأثريـة الفرنسـية التـي عملـت في المدينـة أطـلال نحـو 300 مبنـى أثـري مـن بينهـا حصـون وصهاريـج اضافـة للمسـجد وبعـض المقابـر الأثريـة، ولقـد كتـب د. جـان ميشـيل موتـو عـدة مقـالات وأبحـاث عـن مـا توصلـت لـه البعثـة مـن اكتشـافات بمدينـة سرت كـما تمكـن مـن رسـم خريطـة توضـح مسـاحة المدينـة وسـورها وموقـع مسـجدها وأبـرز معالمهـا مثـل الحصـن الجنـوبي الغـربي.

جعـل الفاطميـون مـن سرت نقطـة ارتـكاز عسـكرية ومكانـا لإمـداد جيوشـهم بالمـؤن والميـاه في حملتهـم للسـيطرة علـى مـصر سـنة 969م، غـير أن المدينـة لم تكـن قاعـدة عسـكرية فحسـب بـل مجتمعـا مزدهـرا مـارس التجـارة والتصديـر عـبر مينـاء يقـع بالقـرب منهـا، تـم اكتشـاف كميـة كبـيرة مـن كـسر الفخـار المصقولـة وغـير المصقولـة وبعـض الأواني الكاملـة وقطـع مـن الحديـد والبرونـز والزجـاج وكميـات مـن مخلفـات صهـر الحديـد والزجـاج مـما يشـير إلى صناعـة هـذه المـواد محليـا.

كـما عـثر في مدينـة سرت علـى عـدد مـن المسـكوكات والعمـلات الإسـلامية وهـي تعـود إمـا لعـصر الدولـة الفاطميـة أو عـصر الدولـة الموحديـة، ويذكـر الأسـتاذ جمعـة كشـبور أن هـذه العمـلات لم يتـم سـكها وضربهـا في مدينـة سرت، وعـلى الرغـم مـن العثـور علـى صنـج زجاجيـة تعنـى بشـأن العمـلات إلا أنـه يرجـح كونهـا كانـت مـن اسـتخدام العيّاريـن الذيـن يقيسـون ويضبطـون بهـا الأوزان الصحيحـة للمسـكوكات.













مصادر

1. Surt : histoire et archéologie d’une ville médiévale libyenne, Jean-Michel Mouton et Philippe Racinet
2. معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا – مجموعة مؤلفين.
3. تقرير البعثة الأثرية الفرنسية في سرت
4. مدينة سرت الإسلامية بين القرنين الأول والسادس الهجري – سعيد علي حامد
5. مسكوكات اسلامية من مدينة سرت – جمعة كشبور

مدرسة عثمان باشا

الصور لـ: Sohail Nakhooda

"إن مدرسة عثمان باشا عمارة على جانب من الأهمية لأنها جاءت بسيطة في تصورها وتصميمها ومعتدلة في زخرفتها، وليس من شك أنها أجمل مدرسة في ليبيا".

د. غاسبري ميسّانا

"يوجد في طرابلس عدة مدارس ومؤسسات دينية تشبه المدارس الديرية في القرون الوسطى أو المعاهد الانجليزية ... وتعتبر مدرسة عثمان باشا إحدى أجمل المدارس وتحمل اسم مؤسسها".

الرحالة الألماني البارون هينريش فون مالتسن – 1869م



«في مدينة طرابلس نجد أن أقدم مدرسة أشير اليها في كتب الرحالة هي المدرسة المنتصرية التي كان موقعها جنوب قوس ماركوس أوريليوس في مركز المدينة القديمة تقريبا ولقد أنشأ هذه المدرسة عبد الحميد بن أبي الدنيا وهو من علماء طرابلس ورجالها المشهورين وكان هذا سنة 555 - 558 هـ . وللأسف فان كتب الرحلات لم تعطنا وصفا للمدرسة ولكنها نتغنى بالحديقة الجميلة الى كانت تحيط بها.

ويذكر الشيخ الطاهر الزاوي نصا من رحلة ابن رشيد العالم الأندلسي الذي زار طرابلس في سنة 685 هـ ويعتقد ان وصفه للمدرسة الي يتكلم عنها ينطبق على المدرسة المنتصرية والتي لم يبق لها أي أثر قائم الآن.

أما أقدم المدارس القائمة في مدينة طرابلس فهي مدرسة عثمان باشا الوالي التركي الذي استمرت فترة حكمه مدة طويلة 1059-1083 هـ ومع ان عثمان باشا قد قام بكثير من المنشآت المعمارية والاهتمام بالاستحكامات الحربية فإن المؤرخين يذكرون غلظته ومعاملته السيئة للأهالي في أواخر فترة حكمه وقد ثاروا عليه أخيرا وحاصروه بالقلعة (السراي الحمراء) ولما لم يجد بدا من الوقوع في يد الثائرين شرب السم ومات» .

الباب الرئيسي لمدرسة عثمان باشا تعلوه لوحة تذكارية من الرخام لتأسيس المدرسة ونصه كما يلي:

حضرت عثمان باشا يسر الله له من الخيرات ماشا , أسس بنيان هذه المدرسة وجعلها لطلب العلم وتلاوة القرآن إلهي تجاوز , عن سيئاته يا رحمان تحريرا في غرة ذي القعدة في سنة أربع وستين وألف

وفيما يتعلق بتصميم مبنى مدرسة عثمان باشا ومكوناته وطريقة بناءه فقد كتبت م. فطيطيمة الفيتوري بحثا مميزا في وصفها جاء فيه:-

مكونات المبنى :

1- ردهة المدخل:

عبارة عن فراغ مربع الشكل 3.20م x 3.20م مسقوف بقبة ارتفاعها 6.50م ترتكز على شكل ثماني و أربعة أعمدة ركنية , و تتصل ردهة المدخل مباشرة بالفناء الداخلي بواسطة فتحة ذات إطار رباعي معقود وحيد في شكله بالمدرسة كما يوجد على جانبي المدخل جلسة بها أربعة تجاويف سفلية على شكل قوس كما توجد لوحة خشب مستطيلة بعرض الباب في أعلاها زخرفة نباتية و يوجد مثلها في كل أبواب المدرسة مع اختلاف وجود الزخرفة من عدمها .



2- الفناء:

يتوسط الفراغات و يتكون من أربعة أروقة ذات أسقف قبوية (نصف اسطوانية) كما هو موضح بالقطاعات المرفقة .. و توجد عند نقطة التقائها قبة صغيرة و تحيط بالفناء بائكات على شكل زهرة اللوتس و اثنان تيجانهما على الشكل الدوري و الآخر عمود ركني بدون تاج على حافة جدار بيت الصلاة . ويتوسط الفناء حوض حجري مسيج بألواح خشبية أبعاده 3.40م × 3.10م به شجرة الحنة وهي قديمة جداً وارتبط وجودها بالمدرسة في أذهان الناس وأصبحت معلم من المعالم بالمنطقة وقد أورد غاسبري ميسانا في كتابة المذكور سالفاً أن مدرسة عثمان باشا هي الوحيد في طرابلس التي لها بركة في وسط الصحن ومكونة في الأصل من المرمر الرفيع الصنع ولكنها اليوم صارت مجرد حوض مصنوع من البناء الحجري .

مراجع

1- المعمار الإسلامي في ليبيا – د. غاسبري ميسّانا.

3- بلدية طرابلس في مائة عام 1879-1979.



3 - بيت الصلاة:

يقع بيت الصلاة في الركن الأيمن من الفناء ويتم الاتصال به بواسطة ردهة مربعة الشكل ذات قبة بسيطة ترتكز على أربعة حنايا ركنية ويتكون بيت الصلاة من الفراغ مربع الشكل بأبعاده (5.00م×5.00م) ذو قبة مركزية مرتكزة على منطقة انتقال ذات شكل عثماني بارتفاع (0.93 × 1.60م) وأربعة نوافذ صغيرة علوية أعلى المحراب كما يوجد ثلاث خزائن حائطيه لحفظ الكتب أما الأرضية فهي مغطاة بألواح خشبية و أثناء الصيانة تم الكشف عنها ووجدت عبارة عن قطع حجرية منتظمة الشكل و إلى أن بيت الصلاة هو المكان الذي تقام فيه الصلوات الخمس فإنه يستعمل أيضا في إعطاء الدروس الدينية و التربوية و تعليم القواعد الإسلامية , و قد توارث التدريس فيه العديد من الشيوخ ذوي الشهرة مثل الشيخ عمر الجنزوري الذي توفاه الأجل في الفترة القليلة الماضية و غيره من الشيوخ الذين تم تعليمهم في المدرسة ذاتها و استكملوا تعليمهم في المدارس و الجوامع في الأقطار المجاورة (كالجامع الأزهر بمصر و جامع الزيتونة بتونس) .

4 - الكتّاب :

يقع الكتاب في الركن الأيسر من الفناء و في نهاية ممر مسقوف بقبو نصف اسطواني مستطيل أبعاده 6.600*3.30 م به نافذتان احداهما تطل على ساحة السيدة مريم و الأخرى على الممر المؤدي للكتاب أما المدخل فهو ذو عقد على شكل حدوة الفرس و هو الوحيد في شكله بالمدرسة و قد استعمل الكتاب و لا زال إلى يومنا هذا في تعليم الأطفال مبادئ القواعد الدينية و حفظ القرآن الكريم .

الى روح الشيخ الجليل
عمر الجنزوري
عمر ستموت الى جوار محمد
خير الهداة يحفك الإجلال
فانعم بما تجنيه من زهر المنى
وثمار خلد ما لهن زوال
الإمام العلامة الفقيه المحدث المفسر اللغوي الأديب
الشيخ عمر العربي الجنزوري
ولد سنة ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١١ م . وحفظ القرآن الكريم
في سن مبكرة . وعني بطلب العلم فتتلمذ على
فحول علماء طرابلس في تلك الحقبة .
وقد اشتغل بالتدريس بكلية أحمد باشا
بطرابلس ثم بمعهد مالك بن أنس الديني .
وكان طوال حياته مواظبا على إلقاء الدروس
بمدرسة عثمان باشا بالمدينة القديمة .
هذا وقد اشتغل رحمه الله بدروس الوعظ
والإرشاد بجامع الريفي وجامع الناقة وجامع الخروبة
وجامع درغوت باشا برفقة الشيخ المهدي أبو
شعالة . وقد انتفع بعلمه كثير من الناس وتلاميذه
أكثر مما يحصون .
توفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء
٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٥ من مايو [illegible]
جزاه الله عن العلم وأهله أحسن الجزاء
آمين



5- الخلوات:

تحتوي المدرسة على 15 خلوة و كما موضح بالمسقط الأفقي تطل معظمها على الفناء الداخلي مباشرة عدا واحدة أمام الكتاب .. و جميعها موحدة الشكل لها أبواب ذات عقد نصف دائري رخامي و حوله إطار بارز يعلوه كرنيش بلون يميل للحمرة , مساحة الخلوة الواحدة في حدود 3.20م *3.20م تقريبا .. لها أسقف قبوية الشكل في اتجاه عمودي على أضلاع الفناء و بكل خلوة سده سفلية و معظمها تحتوي أيضا على سدة علوية و تشغل السدة السفلية أكثر من نصف مساحة الخلوة بارتفاع 1.00 م تقريبا , أما السدة العلوية فتشغل المساحة الباقية للخلوة أعلى المدخل و يتم الصعود إليها بواسطة قائمة خشبية بها دعامات خشبية بين مسافة و أخرى في لسدة .

كما توجد في معظم الخلوات نافذتان واحدة سفلية والأخرى علوية إلى جانب بعض الكوى العلوية التي تستعمل في وضع فوانيس الإضاءة و أيضا الخزائن الحائطية لوضع الكتب أما الفراغ السفلي للسدة فعادة يستعمل للتخزين من قبل الطلاب الذين يتلقون التعليم في المدرسة أو المدارس المجاورة مثل مدرسة جامع أحمد باشا القره ماني لأن الطلاب عادة ما يأتون من أماكن بعيدة و من ضواحي المدينة للإقامة في الخلوات .

ويوجد أيضا مرافق خدمية بالمدرسة مثل الميضأة التي تقع في الجهة اليسرى للمدخل و تحتوي على مرحاضين و على الجانب الآخر يوجد خزان ماء مستطيل مثبت على جدرانه قطعة رخامية عليها زخرفة نباتية منحوتة , و هي منظورية بالنسبة للمدخل و مثبت عليها صنابير مياه تستعمل للوضوء.



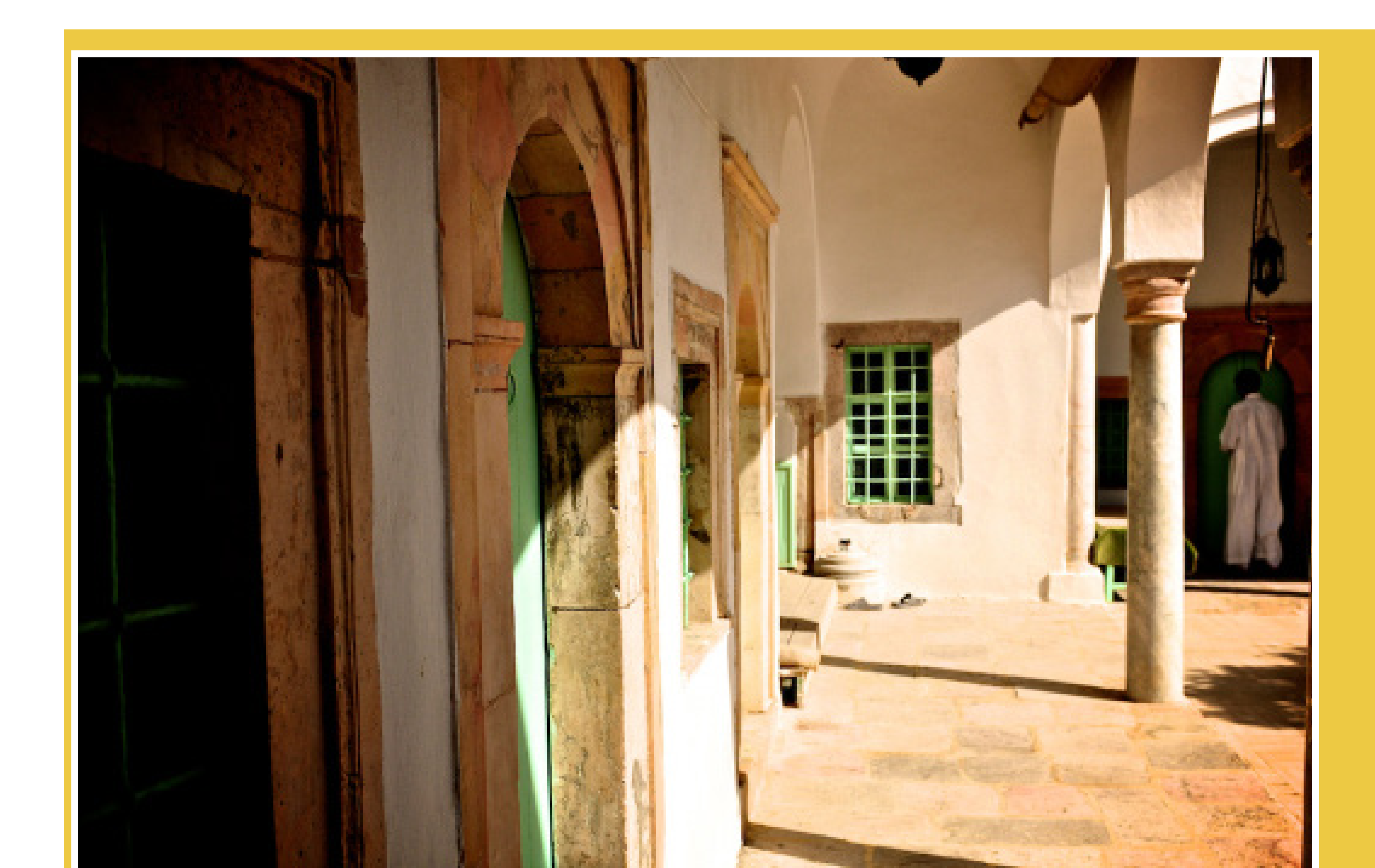


وحجرة أخرى تستعمل للاستحمام متصلة بحجرة صغيرة فيها البئر إلى جانب فراغات الميضأة توجد حجرة تستعمل كمطبخ خاص بالطلبة المقيمين به نافذة صغيرة تطل على شارع درغوت و قد اتضح بعد إطلاعنا على الخرائط القديمة و الصور التي تم العثور عليها في مصلحة الآثار أن فراغ المطبخ قد استقطع من الحمامات في العهد الإيطالي و أن المطبخ قد استحدث و كان موجودا عوضا عنه أربع دورات مياه .

ومن مكونات المبنى ضريح مؤسس المدرسة الملاصق لبيت الصلاة الذي يشمل أيضا قبور بعض أفراد أسرته (12 قبرا) و الضريح مربع الشكل تسقفه قبة تشبه قبة بيت الصلاة عدا أن إحدى الفتحات المعقودة مفتوحة للإضاءة و التهوية , تحوي الحجرة على ثماني نوافذ سفلية بأبعاد متقاربة 2.10 * 1.30 م , أما المدخل فهو من الرخام و على شكل عقد دائري غير متكامل عليه ثلاثة أجزاء زخرفية هذا إلى جانب أن كل القبور محاطة بألواح رخامية عليها زخرفة نباتية منحوتة و يعلوها شاهد رخامي تعلوه عمامة من الرخام .

وفيما يتعلق بالتحليل الزخرفي فقد استخدمت الزخارف الرخامية على أطر المداخل، واستخدمت في المدخل المؤدي إلي صحن المدرسة وهو معقود بعقد نصف دائري، أما الأعمدة فهي من رخام ذات أبدان اسطوانية، وتوجد زخارف خشبية في الجزء الأعلى في بعض النوافذ المطلة على الضريح بها حشوة خشبية مستطيلة.

في سنة 2012 تعرضت المدرسة للاعتداء والتخريب حيث تضررت عدة خلوات ومرافق وحطمت شواهد القبور ونبش رفاتها وقطعت الشجرة التي كانت وسط المدرسة.







مراجع

4- مدرسة عثمان باشا - م. فطيطيمة الفيتوري.
5- العناصر الزخرفية المعمارية بمدينة طرابلس - حنان محمد بن نافع.

مشاهدات من واحة الجغبوب وزاويتها سنة 1967

هذه المقتطفات مقتبسة من مقالة نشرت في العدد رقم 107 من مجلة العربي الذي نشر في أكتوبر سنة 1967 بعنوان "الجغبوب واحة منسية في الصحراء الليبية" وهي من كتابة الصحفي الأستاذ "سليم زبال" وتصوير المصور "أوسكار متري"

1 - أول خطوة

لا تكاد تخطو أول خطوة في واحة الجغبوب حتى تشعر وكأنك قد اخترقت حجب الزمان التي تعيدك الى عالم لا يمت الى دنيانا المعتمدة على المادة والكماليات .. عالم التعبد و الروحانيات.

إنها دنيا أخرى .. ومجتمع يندر وجوده في عصرنا الذى امتلأ بالصخب والضجيج .. عالم يغار على ماضيه، ويصر على التمسك بأسلوبه الخاص في الحياة.

إنها دنيا أخرى .. ومجتمع يندر وجوده في عصرنا الذى امتلأ بالصخب والضجيج .. عالم يغار على ماضيه، ويصر على التمسك بأسلوبه الخاص في الحياة.

فبعد الانتهاء من أداء صلاة الفجر وتلاوة الأوراد ومراجعة الدروس في المسجد، تتحول الجغبوب إلى معهد كبير للعلم وينقسم رجالها وشبابها إلى قسمين : طلبة يتعلمون .. وأساتذة يعلّمون، فالتعليم في الجغبوب هو كل شيء في حياة سكانها.

2 - الزاوية والضريح

صورة رائعة لضريح السيد محمد السنوسي التقطها مصورنا من القبة العالية المطلة على الضريح الذى يحيط به سياج من النحاس يقف خلفه الناس لقراءة الفاتحة والترحم على روح الفقيد الكبير .. لقد أصبح هذا الضريح جزءا من الزاوية السنوسية أي المركز السنوسي في الجغبوب.

وتتكون الزاوية عادة من بيت خاص لرئيسها، وآخر للضيوف (مضيفة) وحجرات لنوم الفقراء وعابري السبيل وحجرات خاصة بالأولاد الذين يتعلمون القرآن ومسجد للصلاة ومخازن للتموين وبستان لزراعة الخضروات الضرورية.

وما يكاد الليل يرخي سدوله على الجغبوب حتى تسلط الأضواء الكاشفة على الجدران الخارجية للمسجد فيشاهدها المسافر من مسافة بعيدة فيسترشد بها وهو سائر وسط رمال الصحراء.

3 - علم وصنعة

كان السنوسي الكبير يحب الزراعة لأتباعه ويقول لهم "الدرر في غرس الشجر" وكان يوم الخميس من كل أسبوع مخصصا للعمل الزراعي أو الصناعي .. أما اليوم فقد غطت الرمال المتحركة عبر السنين الأشجار والنخيل التي زرعها السنوسي الكبير في الواحة.

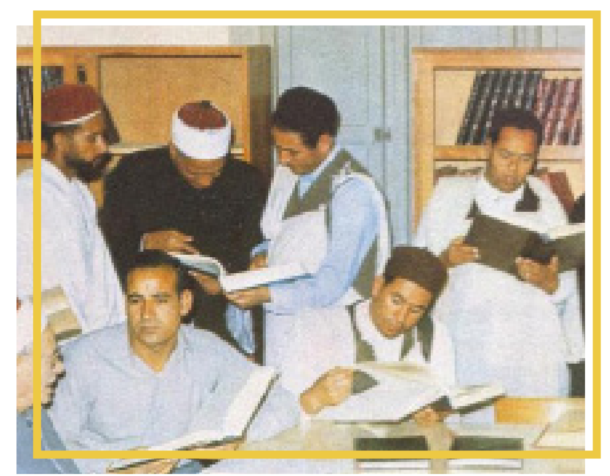
استطاع السنوسي الكبير أن يحول الواحة إلى مركز للعمل والإنتاج، لقد جعل من يوم الخميس يوم العمل الأسبوعي أي اليوم الذي يتحول فيه الطالب إلى بنّاء أو نجّار أو حداد أو نسّاج أو أي عمل يدوي آخر نافع .. وبعضهم الآخر كان يهتم بالزراعة وحفر الآبار وغرس الأشجار وزراعة بعض أنواع الخضر والفواكه، واستخدم السنوسي الكبير ما لديه من إبل لإحضار المزيد من المؤن من مختلف المناطق البعيدة، وكان على كبر سنه يدفع بنفسه بين أهل الحرب ويقول لهم جملا تطيب خواطرهم وهو يشتغل معهم مثل قوله:-

« يظن أهل الوريقات والسبيحات أنهم يسبقوننا عند الله، لا والله لا يسبقوننا». يريد بأهل الوريقات العلماء، وأهل السبيحات العابدين والقانتين، فكأنه يريد أن يقول للمحترفين والصناع لا تظنوا أنكم دون العلماء والزهاد مقاما بمجرد كونكم صناعا وعملة، وكونهم علماء وقراء .. كان يقول لهم هذا الكلام ليزيدهم رغبة وشوقا ويعلم الناس حرفة الصناعة التي لا مدنية إلا بها .. حدث كل هذا منذ مائة عام مضت.

وفي اليوم السابع من شهر سبتمبر 1859 انتهت حياة السيد محمد بن علي السنوسي الحافلة بالنشاط والإصلاح ودفن بالجغبوب.

ولما كان الطلبة الملتحقون بالمعهد غرباء عن الواحة فقد خصص لهم أماكن لسكناهم عرف كل منها باسم "خلوة" وكانت أشبه بنظام الأروقة في الأزهر، .. ومن مجموعة هذه الخلوات تكونت الأربطة، كل رباط لبلد معين، فهناك "رباط السوادين" أي القادمين من السودان .. ورباط "السيوية" أي القادمين من سيوة [مصر].

وكان ملحقا بالمعهد مكتبة علمية تضم 14 ألف مجلد وأكثر من ألف مخطوط، معظمها كان خاصا بالشريعة الإسلامية وتفسير القرآن وعلوم الفلسفة والتاريخ والشعر وعلم الفلك.



5 - كارثة علمية

واستولت القوات الإيطالية على المكتبة السنوسية الثمينة التي كانت تعد ثروة علمية هائلة فأتلفتها وأضاعتها، وكانت قد نقلت من الجغبوب إلى واحة الكفرة قبل الاحتلال، ويصف شاهد عيان هو الأستاذ محمد الطيب الأشهب في كتابه القيم "برقة العربية أمس واليوم" عملية السلب هذه بقوله:

"أخذ العساكر المحتلون يوزعون كتبها ذات اليمين وذات الشمال، ويرمون بها إلى الرياح لتعمل فيها عملها، ويوقدون بها النار وقد كسيت جميع أرض الكفرة وغطيت المباني والأشجار بأوراق تلك الكتب الممزقة والمبعثرة .. وما من جندي إيطالي أو صومالي أو وطني إلا وقد جاء بقسم كبير من هذه الكتب ليهديه كتذكار لاشتراكه.

في هذا الفتح أو لبيعه، فامتلأت بذلك أسواق برقة بالكتب وما بقي من ذلك جمعته ايطاليا وجاءت به إلى بنغازي على ظهر أربعين سيارة شحن (لوري) كبيرة وقافلة من الابل لا تحمل إلا كتبا فملأت بها عدة غرف بقصر الحكومة في بنغازي وهناك لعبت بها يد الفساد، فصار الإيطاليون يأخذون ما يروق لهم منها الى ايطاليا وأسواق أوربا .. وظلت الكتب تتخاطفها الأيدي حتى استطاع الليبيون الاهتمام بها، ولكنه في أثناء الحرب العالمية الثانية أحرق الإيطاليون ثلاثة آلاف كتاب من كتبها أثناء انسحابهم أمام جيوش الحلفاء ..."

هذا هو ما حدث باختصار لتلك المكتبة الرائعة التي اهتمت الحكومة بعد الاستقلال بها فشرعت في البحث عن كتبها المبعثرة .. وفي شهر أبريل من هذا العام 1967 نقلت سيارة شحن 3508 كتاب هي كل ما أمكن العثور عليه من مكتبة السنوسي القديمة نقلتها الى مقرها الأصلي في الجغبوب لتكون مرجعا لمن يريد الاطلاع والمراجعة.



6 - باب لمرور الجنازات

ويحيط بالجغبوب سور حجري، يضم الزاوية والمسجد والضريح، وبهذا السور سبعة أبواب

يطلق عليها أسماء : الاستسقاء، والعين، والكرة، والكوادير، والبحري، والغربي، والرحمة وهذا الباب الأخير تخرج منه الجنازات ولكن هذه البوابات لم تعد توصل الى خارج الواحة، بل أصبحت داخل الجغبوب نفسها، فقد ارتفع الكثير من العمارات حول السور، مبنى للمستشفى، ومركز للبوليس، ومركز

للأرصاد الجوية، ومركز للمديرية...

7 - مدينة مقدسة

وفي أيـام الأعيـاد وذكـرى وفـاة السـنوسي الكبـير يتهافـت آلاف مـن أهـل ليبيـا عـلى الواحـة الصغـيرة فتمتلـئ بهـم الطرقـات والسـاحات .. ولكـن مـا تـكاد زيارتهـم لضريـح السـنوسي الكبـير تنتهـي حتـى يشربـوا أقـداح الشـاي الأخـضر ثـم يعـودوا بسرعـة إلى مدنهـم التي قدمـوا منهـا ! اذ لا توجـد آيـة احتفـالات أو بـدع مـن تلـك التـي نراهـا ف مثـل هـذه المناسـبات في أكـثر مـدن البـلاد العربيـة .. وذلـك لأن الجغبـوب مدينـة مقدسـة في رأي اهـل ليبيـا مـن السنوسـيين

وبانصراف الزوار يعود الهدوء إلى الجغبوب .. وتغيب

الشـمس .. وينطلـق صـــوت المـؤذن الواقـف في شرفـة المئذنـة البيضـاء للجامـع الكبـير، إن صوتـه كان يصـل الى جميـع مناطـق الجغبـوب دون حاجـة الى مكـبرات الصـوت .. أمـا اليـوم وقـد اتسـعت الواحـة، وزاد عـدد سـكاتها فقـد أصبـح مـؤذن الجغبـوب ف حاجـة ماسـة الى مكبر للصـوت ينقـل بـه صوتـه الى كل مـكان مـن الواحـة.

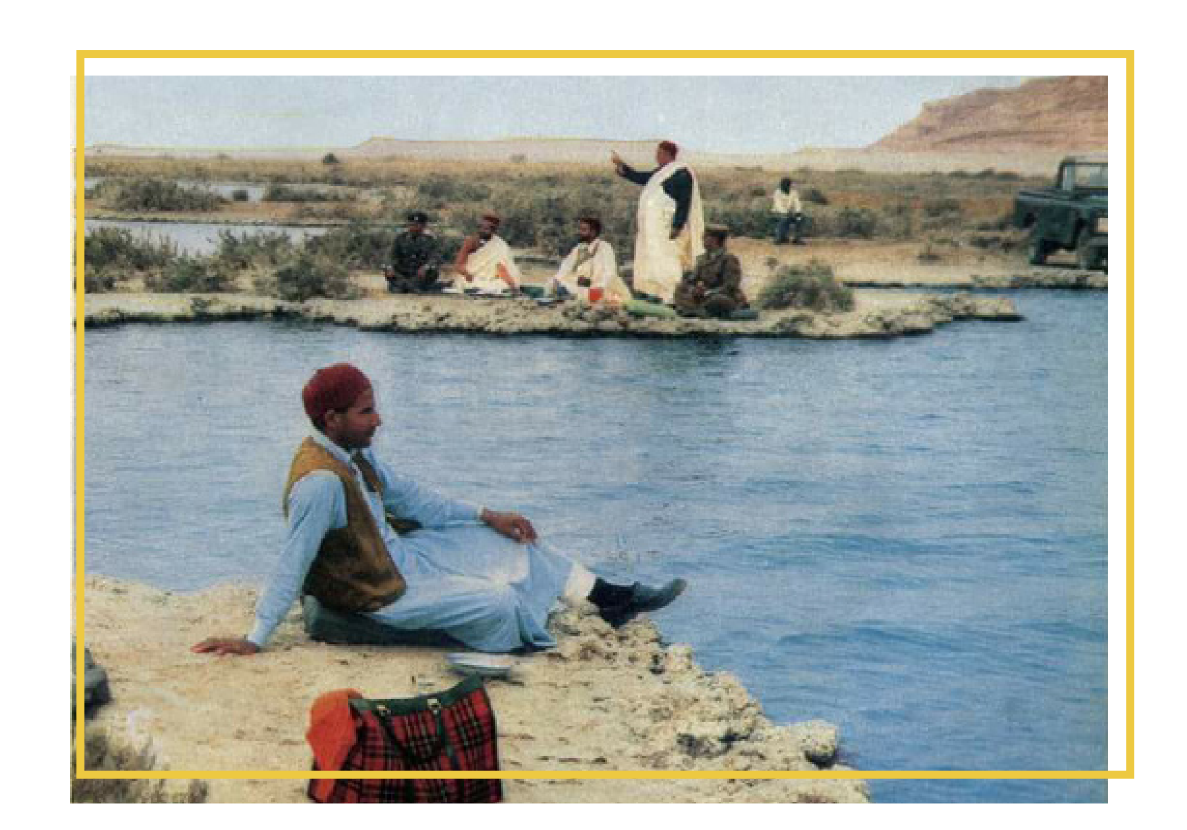
8 - الأسلوب القديم

بالرغـم مـن مـضي أكـثر مـن مائـة عـام عـلى تشـييد السـيد محمـد ابـن عـلي السـنوسي لأول «كتّـاب» في الجغبـوب، بالرغـم مـن طـول هـذه الفـترة فـإن هـذا الكتّـاب مـازال يعمـل إلى اليـوم عـلى نفـس الأسـلوب القديـم، وعندمـا سـألنا مديـر المدرسـة الأسـتاذ محمـد نصيـب عـن السر في هـذا أجابنـا:

« قـد يتعجـب القـارئ عندمـا يـرى مدرسـة مازالـت تتبـع هـذا النمـط القديم إلى اليوم، ولكننـا حاولنـا تطبيـق أسـاليب التعليم الحديـث لتحفيـظ القـرآن ولكنهـا كلهـا لم تجـد، فرجعنـا إلى طريقـة الكتـاب الأولى التـي ظهـرت نتائجهـا الحسـبة في كـثرة الطلبـة الحفـاظ مـع جـودة الحفـظ .. فالطالـب هنـا يكتـب الآيـات عـلى اللـوح الخشـبي بالمـداد المصنـوع مـن المـاء المخلـوط بالرمـاد الأسـود ويقـدم اللـوح للفقيـه الـذي يصحـح المكتـوب، فيأخـذه التلميـذ معـه إلى مكان ليحفظـه ويلقيـه عـلى المـدرس مـرة بعـد مـرة .. ولا يمحـوه إلا بعـد حفظـه وعرضـه عـلى الفقيـه ليـأذن بمحـوه ..»

وتظهـر الصـور بعـض الأطفـال جالسـين عـلى نفـس الأماكـن التـي جلـس عليهـا مـن قبلهـم الكثـير مـن العلـماء والشـعراء والمجاهديـن في التاريـخ الليبـي أمثـال عمـر المختـار، والشـيخ عمـر الأشـهب، وأبـو مقـرب، وتـرى الفقيـه جالسـا فـوق صـوف

الغنـم وبيـده السـوط يخيـف بـه التلميـذ المشـاغب ولكنـه لم يحـدث أن ضرب بـه أحـدا فقـد أصبـح أداة للتخويـف وليـس أداة للـضرب !.





لوحات



السيفيران توندو Severan Tondo، وهي رسم ملون على لوح من الخشب، صور عائلة الإمبراطور سبتيموس سيفروس حيث يظهر هو إلى جانب زوجته الثانية جوليا وكل من ابنيه كاركلا وغيتا (وجهه ممسوح)، وهي لوحة فريدة من نوعها تعود لحوالي سنة 200 للميلاد، ومعروضة في متحف Staatliche بالعاصمة الألمانية برلين.
سبتيموس سيفروس ولد سنة 146 ميلادي في مدينة لبدة الكبرى، درس القانون واللغتين اللاتينية واليونانية في روما، وفي سنة 175م تزوج من باكيا ماركيانا وهي امرأة من مدينة لبدة أيضا توفيت بعد سبع سنوات فقط من زواجهما، تزوج بعدها من جوليا دومنا التي أنجب منها ولديه غيتا وكاركلا، تقلد عدة مناصب ادارية وعسكرية في مناطق مختلفة مثل اسبانيا وسردينيا وليون وسوريا إلى أن تم تنصيبه إمبراطورا سنة 193م وظل كذلك حتى وفاته سنة 211م.

جان باتيست غروز Jean-Baptiste Greuze رسام فرنسي ولد في مدينة تورنو سنة 1725م وتوفي في باريس سنة 1805م، درس الفن في ليون وباريس وانتقل فترة إلى روما ونابولي في إيطاليا وله عدد من اللوحات الشهيرة، عرفت لوحاته بطابع درامي يميزه دقة التصوير وقتامة الألوان وحيوية الحركة كما تناولت بعضها أحداثا تاريخية قديمة.
لوحته هذه المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا توضح مشهدا للخلاف العائلي بين سبتيموس سيفروس وابنه كراكلا، حين كان الإمبراطور سبتيموس في أواخر حياته يقود حملة عسكرية في يورك (بريطانيا حاليا) اشتد عليه المرض، ونظرا للتنافس على خلافته في عرشه بين ولديه كراكلا وغيتا فقد نشب خلاف وتوتر داخل العائلة حتى أن كراكلا اتهم بأنه ينوي محاولة قتل والده، ويظهر الرسام غروز هنا سبتيموس وهو يوبخ ابنه.
بعد وفاة سبتيموس سيفروس سنة 211 للميلاد متأثرا بمرضه استمر التوتر بين الأخوين الذين تشاركا الحكم لفترة قصيرة، وانتهى بشكل مأساوي حيث أقدم كراكلا على اغتيال أخيه غيتا بعد نحو عام من وفاة والدهما.



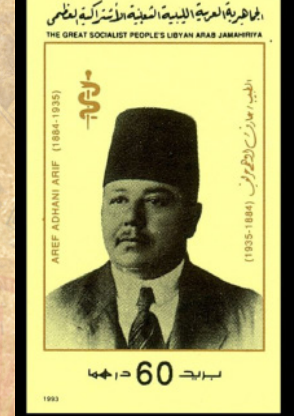


طوابع البريدية

منذ اختراعها سنة 1840 ظلت فكرة الطوابع البريدية من الوسائل الهامة للاحتفاء بتاريخ وثقافات الشعوب واحياء مناسباتها، وجذبت الملايين من الناس الذين صاروا مهتمين بجمعها وتصنيفها وعرضها، في هذه الزاوية نعرض في كل عدد مجموعة من الطوابع البريدية التي توثق أحداثا وثقافات وفنونا ومعالم ليبية.







د. عارف ابراهيم أدهم

من رائدي مهنة الطب في ليبيا، ولد في مدينة طرابلس سنة 1884م وبها نشأ، ثم انتقل إلى مدينة اسطنبول التركية ودرس الطب هناك في كلية الطب العسكري، تخرج منها طبيبا وتخصص في طب العيون، وعاد إلى طرابلس حيث عمل لفترة في المستشفى الكائن بشارع ميزران، وعندما بدأ الغزو الإيطالي سنة 1911م تعرض للاعتقال من قبل الإيطاليين وظل في الأسر لمدة أربعة أشهر قبل أن يتم ترحيله إلى إيطاليا ومنها انتقل إلى اسطنبول شارك في حرب البلقان وتنقل بعدها بين جدة والاسكندرية ومدن أخرى، ولقد تم أسره مرة أخرى من قبل الإنجليز حيث بقي في أحد معتقلاتهم بمصر لمدة خمس سنوات وحين أطلق سراحه سافر مرة أخرى لإسطنبول لبضعة أسابيل قبل أن يعود أخيرا إلى مسقط رأسه طرابلس سنة 1921م ويستقر بها للعمل كطبيب، وظل فيها يقدم خدماته الطبية للمواطنين حتى وفاته سنة 1935م.






د. عبد السلام الفيتوري

ولد بمنطقة الظهرة في طرابلس وتلقى تعليمه الاولي في الكتاتيب والمدارس الدينية ثم التحق بالثانوية الرشدية بالمدينة القديمة طرابلس وبعد اكمال دراسته فيها بتفوق انتقل لاسطنبول حيث درس الطب، وعند تخرجه عاد إلى ليبيا في أواخر القرن التاسع عشر للعمل فيها كطبيب بمدينة طرابلس ثم في مدينة بنغازي حيث إضافة الى عمله الرسمي في المستشفيات العسكرية كانت له عيادة خارجية، وبعد الغزو الإيطالي لليبيا غادر البلاد فترة قبل العودة إليها وممارسة عمله، كان صديقا للشاعر المعروف أحمد رفيق المهدوي، توفي الفيتوري سنة 1941م ودفن في مقبرة سيدي عبيدة ببنغازي.

History Of Libya





د. محمد علي امسيك

ولد في مدينة غريان سنة 1883م ونشأ بها قبل أن ينتقل لمدينة طرابلس لغرض اكمال تعليمه فيها، وفي سنة 1905م انتقل إلى تركيا التي درس الطب فيها، عاد إلى ليبيا سنة 1933م حيث افتتح عيادة خاصة لعلاج أمراض العيون واضافة الى تقديم العلاج فقد كان لعيادته دور تعليمي، توفي الطبيب محمد مسيك في منتصف الأربعينيات.

الهلال الأحمر الليبي

تعتبر جمعية الهلال الأحمر الليبي من أعرق المؤسسات الأهلية الليبية اذ يعود تأسيسها إلى الخامس من أكتوبر سنة 1957م وفي العام التالي 1958 تم الاعتراف بها من اللجنة الدولية للصليب الأحمر لتنضم في نفس العام إلى الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر.

وهي في الأساس قائمة على العمل التطوعي وتهدف إلى تقديم العون في المجالات الانسانية والصحية والبيئية والاجتماعية،











History
Of Libya
ديسمبر 2020


مُمكِن
MOOMKENORG
FOR AWARENESS & MEDIA